

كامل كيلاني

قصص من ألف ليلة

# مدينة النحاس

رسوم : سمير عزيز



## الْفَيْضُ الْأَوَّلُ

### ١ - هُبُوبُ الْعَاصِفَةِ

هَبَّتِ الْعَاصِفَةُ شَدِيدَةً عَاتِيَةً، وَتَعَالَتْ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ هَادِرَةً صَاحِبَةً، تُهَدِّدُ السَّفِينَةَ بِالْغَرَقِ بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى، وَاسْتَوَى الْخَوْفُ عَلَى رُكَّابِ السَّفِينَةِ وَمَلَّاحِيهَا وَرُبَّانِيهَا، وَخَارَتْ مِنْهُمْ الْقَوَى، وَكَادَ الْيَأْسُ يَسْتَوِي عَلَيْهِمْ، لَوْلَا مَا بَعَثَهُ أَمِيرُهُمْ «إِقْبَالُ» الشُّجَاعِ مِنْ أَمَلٍ فِي نُفُوسِهِمْ؛ بِفَضْلِ مَا أُوتِيَ مِنْ ثَبَاتِ قَلْبٍ، وَقُوَّةِ عَزِيمَةٍ، وَبِرَاعَةِ حِيلَةٍ. وَالشُّجَاعَةُ تُعْدِي كَمَا يُعْدِي الْخَوْفُ، وَتَتَقَلُّ مِنْ شَخْصٍ إِلَى آخَرَ كَمَا يَتَقَلُّ الْمَرَضُ.

وَكَانَ «إِقْبَالُ» مِنْ أَفْذَادِ الرَّجَالِ الَّذِينَ تَزِيدُهُمُ الشَّدَائِدُ صَلَابَةً وَقُوَّةً، فَرَّاحٌ يُصْدِرُ إِلَيْهِمْ أَوْامِرَهُ تَبَاعًا - فِي بَرَاعَةٍ وَحُنُكَةٍ وَذُكَاءٍ - حَتَّى كُتِبَتْ لَهُمُ السَّلَامَةُ بَعْدَ أَنْ تَعَرَّضُوا لِلْهَلَاكِ يَوْمَئِذٍ كَامِلِينَ، كَانَتْ الْعَوَاصِفُ تُهَدِّدُهُمْ - فِي خِلَالِهِمَا - بِالْغَرَقِ بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْفَيْئَةِ. فَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ سَكَنَتِ الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ، وَهَدَّأَتِ الْأَمْوَاجُ الثَّائِرَةَ، وَنَجَّتْ سَفِينَةُ الْأَمِيرِ، كَمَا نَجَّتْ سَفَائِنُ أَتْبَاعِهِ وَحَاشِيَتِهِ مِنَ الْغَرَقِ.

## ٢- حِوَارُ الْأَمِيرِ وَالرُّبَّانِ

وَمَا إِنَّ تَبَيَّنَ الرَّبَّانُ مَوْقِعَ السَّفِينَةِ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى صَرَخَ مُتَأَلِّمًا،  
وَقَالَ :

«لَقَدْ نَجَوْنَا - يَا سَيِّدِي الْأَمِيرَ - مِنَ الْغَرَقِ، وَلَكِنَّا لَمَّا نُنْجُ مِنَ  
الْهَلَاكِ».

فَسَأَلَهُ الْأَمِيرُ :

«مَاذَا تَعْنِي؟».

فَقَالَ الرَّبَّانُ :

«لَقَدْ ضَلَلْنَا الطَّرِيقَ؛ فَمَا نَعْلَمُ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنَ الدُّنْيَا طَوَّحَتْ بِنَا  
الْعَاصِفَةُ؟ وَمَا يَذْرَى أَحَدٌ: أَيُّتَاحُ لِسَفَائِنِنَا (مَرَاكِبِنَا) أَنْ تَرُسُوَ عَلَى  
الْبَرِّ، أَمْ كُتِبَ عَلَيْنَا أَنْ نَقْضِيَ مَا بَقِيَ مِنْ أَيَّامِنَا فِي الْحَيَاةِ هَائِمِينَ  
عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ حَتَّى يَنْفَدَ مَا مَعَنَا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ؛ فَتَهْلِكَ جُوعًا  
وَعَطْشًا بَعْدَ أَنْ نَجُونَ مِنَ الْمَوْتِ غَرَقًا؟».

فَقَالَ الْأَمِيرُ الشُّجَاعُ :

«لَا تَجْزَعُ وَلَا يَهِنُ مِنْكَ الْعِزْمُ، فَإِنَّ عِنَايَةَ اللَّهِ الَّتِي يَسِّرَتْ لَنَا  
طَرِيقَ الْخَلَاصِ مِنْ خَطَرِ الْعَاصِفَةِ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تُسِّرَ لَنَا طَرِيقَ  
النَّجَاةِ. فَإِذَا كَانَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - قَدْ كَتَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَمُوتَ فِي هَذِهِ

الرَّحْلَةَ، فَلَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ فِيمَا قَضَى اللَّهُ. وَمَا أَجْدَرَنَا أَنْ نُوَاجِهَ الْمَوْتَ  
- كَمَا نُوَاجِهُ الْحَيَاةَ - بِاسْمَيْنِ غَيْرِ هَيَّابِينَ وَلَا خَائِفِينَ. وَلَيْسَتْ هَذِهِ  
أَوَّلَ عَاصِفَةٍ نَلْقَاهَا فِي رِحْلَاتِنَا، وَمَا أَحْسَبُهَا آخِرَ عَاصِفَةٍ تُكْتَبُ لَنَا  
السَّلَامَةَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنْ أَهْوَالِهَا».



### ٣. الرَّاحَةُ بَعْدَ التَّعَبِ

وَهَكَذَا رَدَّ الْأَمِيرُ الشُّجَاعُ الطُّمَّانِينَةَ إِلَى قُلُوبِ أَصْحَابِهِ. وَسَارَتْ  
سَفَائِنُ الْأَمِيرِ تَحْمِلُهُ مَعَ حَاشِيَّتِهِ وَجُنُودِهِ فِي الْبَحْرِ عَلَى غَيْرِ هُدًى  
خَمْسَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ.

ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ عَلَى السَّاحِلِ، فَخَرَجَ الْأَمِيرُ وَرِفَاقُهُ  
إِلَى الْبَرِّ آمِنِينَ شَاكِرِينَ اللَّهَ حَامِدِينَ، وَجَلَسُوا يَلْتَمِسُونَ الرَّاحَةَ مِنْ  
عَنَاءِ السَّفَرِ بَعْدَ أَنْ كَابَدُوا فِي رِحْلَتِهِمُ الطَّوِيلَةَ الشَّاقَّةَ مَا كَابَدُوا مِنْ  
أَهْوَالٍ.

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِمُ الْمَقَامُ رَأَوْا مِنْ دَلَائِلِ الْخِضْبِ وَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ  
مَا مَلَأَ نُفُوسَهُمْ بِهَجَّةٍ وَإِعْجَابًا، حَتَّى خُيِّلَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ حَلُّوا فِي جَنَّةٍ  
مِنْ جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ ذَاتِ أَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ، وَرِياضٍ تَحْفُلُ بِأَطْيَابِ  
الثَّمَارِ وَالْأَزْهَارِ!

وَلَبِثُوا أَيَّامًا يَتَرَقَّبُونَ أَنْ يَرَوْا إِنْسَانًا يَسْأَلُونَهُ عَنِ اسْمِ الْمَكَانِ  
الَّذِي حَلُّوا بِهِ، فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا.

## ٤ - الْمَدِينَةُ الْمُوصَدَةُ

وَإِذَا صَبَّاحَ خَرَجَ الْأَمِيرُ يَرْتَادُ تِلْكَ الْأَنْحَاءَ لِيَتَعَرَّفَ شَيْئًا عَنْهَا،  
فَأَنْتَهَى بِهِ السَّيْرَ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ، فَقَصَدَ إِلَيْهِ، ثُمَّ صَعَدَ فِيهِ، وَمَا زَالَ  
مُصْعِدًا فِيهِ حَتَّى بَلَغَ قِمَّتَهُ.

فَرَأَى عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ سُورَ مَدِينَةٍ عَالِيَةٍ، فَأَيَّقَنَ بِقُرْبِ الْفَرَجِ،  
وَأَسْرَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ يُخْبِرُهُمْ بِمَا رَأَى. وَكَانَ الْمَسَاءُ قَدْ اقْتَرَبَ،  
فَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ فِي مَكَانِهِمْ، وَاسْتَأْنَفُوا السَّيْرَ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ  
حَتَّى بَلَغُوا ذِرْوَةَ الْجَبَلِ، ثُمَّ هَبَطُوا إِلَى سَفْحِهِ الْآخِرِ، وَاسْتَرَاخُوا  
يَوْمَهُمْ، مُسْتَأْنِفِينَ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ سَيْرَهُمْ، فَرَأَوْا عَلَى مَقْرَبَةٍ  
مِنْهُمْ مَدِينَةً عَالِيَةَ الْبُنْيَانِ، مُشِيدَةً الْأَرْكَانِ، يَحْفُ بِهَا سُورٌ عَالٍ  
مِنْ كُلِّ جِهَاتِهَا، وَرَأَوْا أَبْوَابَهَا النَّحَاسِيَّةَ مُغْلَقَةً قَدْ أَحْكَمَ رِتَاجُهَا  
بِالْمَتَارِيسِ وَالْأَقْفَالِ، فَاسْتَحَالَ الدُّخُولُ إِلَيْهَا، وَلَا حَ لَهُمْ فِي  
أَعْلَى السُّورِ بَرُوجٌ مُحَصَّنَةٌ، أَبْوَابُهَا مِنَ النَّحَاسِ، أَتَقِنَتْ نَقُوشَهَا  
وَزَخَارِفَهَا أَيَّمَا إِتْقَانٍ.

فَأَقَامُوا يَوْمَهُمْ يَدْبُرُونَ الْحِيلَةَ فِي دُخُولِهَا، فَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى وَسِيلَةٍ  
تُمْكِنُهُمْ مِنْ تَحْقِيقِ رَغْبَتِهِمْ.

## ٥. السُّلْمُ الْكَبِيرُ

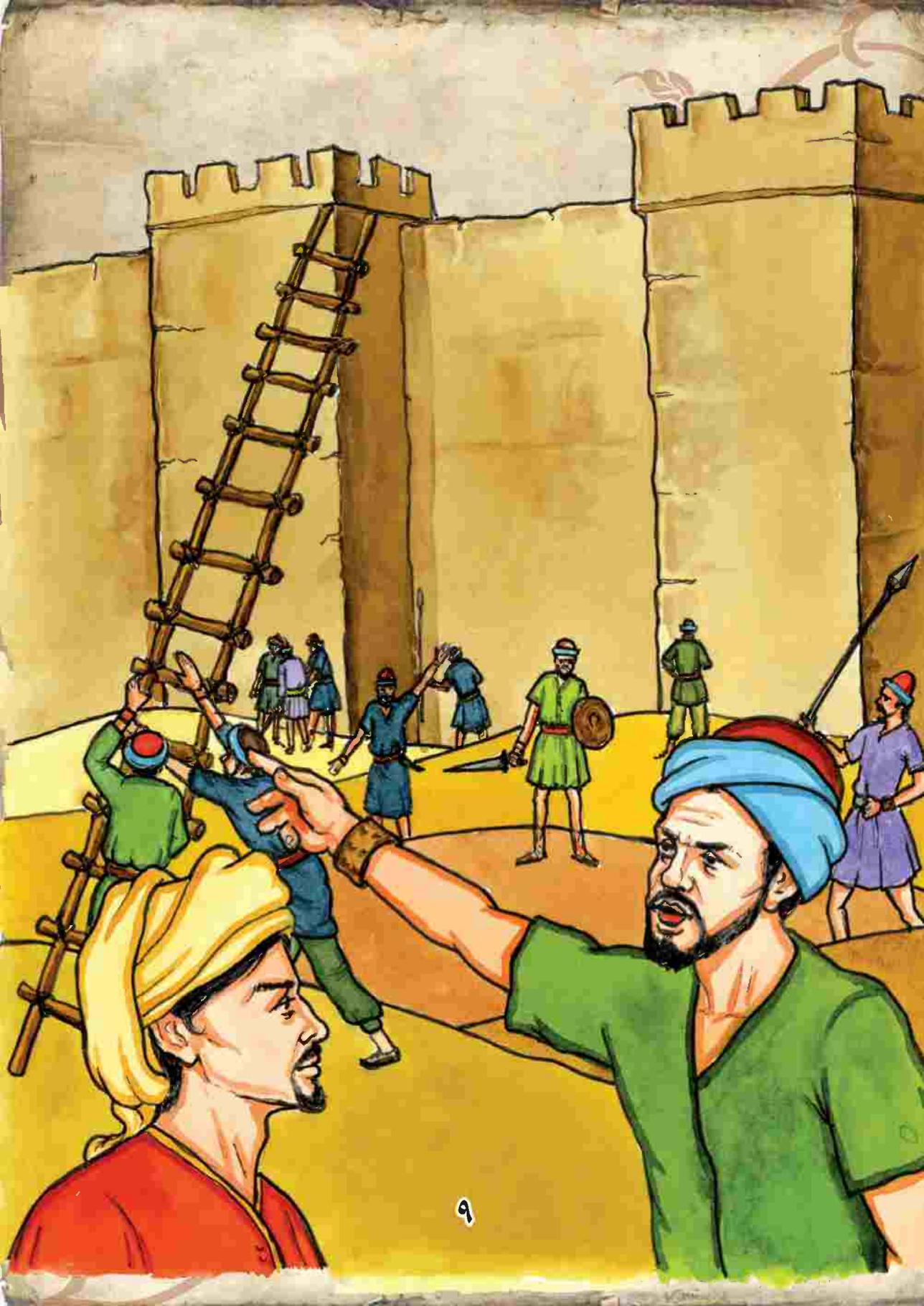
فَأَشَارَ عَلَيْهِمُ الْأَمِيرُ أَنْ يَعْمَلُوا سُلْمًا كَبِيرًا يُسَامِتُ ذِرْوَةَ سُورِهَا  
الْعَالِي؛ لِيُمْكِنَهُمْ مِنْ فَتْحِ أَبْوَابِهَا، وَتَعَرُّفِ خَبَرِهَا وَعَجَائِبِهَا، وَسُؤَالِ  
أَهْلِهَا عَنِ اسْمِهَا، وَمَكَانِهَا مِنَ الدُّنْيَا. فَقَالُوا:  
«نَعَمْ مَا أَشَارَ بِهِ الْأَمِيرُ».

وَمَا لَبِثُوا أَنْ أَتَمُّوا صُنْعَ السُّلْمِ الْكَبِيرِ، ثُمَّ تَعَاوَنُوا عَلَى رَفْعِهِ حَتَّى  
أَقَامُوهُ وَالصَّقْوَهُ بِالسُّورِ الْعَالِي، فَجَاءَ مُسَاوِيًا لَهُ، كَأَنَّهُ قَدْ عَمِلَ عَلَى  
قَدِّهِ وَارْتِفَاعِهِ.

## ٦. السَّبَّاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ

فَشَكَرَ لَهُمُ الْأَمِيرُ جُهْدَهُمْ وَتَوَفِيْقَهُمْ، وَقَالَ:  
«بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ. لَقَدْ كَلَّلَ اللَّهُ مَسْعَاكُمْ بِالنَّجَاحِ، فَكَأَنَّمَا قَسَمْتُمْ  
السُّلْمَ عَلَى ارْتِفَاعِ سُورِ الْمَدِينَةِ».

ثُمَّ سَأَلَهُمْ:  
«أَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْتَقِيَ هَذَا السُّلْمَ الْعَالِي حَتَّى يَبْلُغَ ذِرْوَةَ السُّورِ،



ثُمَّ يَحْتَالُ لِنُزُولِهِ إِلَى أَرْضِ الْمَدِينَةِ لِيَفْتَحَ لَنَا مَغَالِيقَ هَذَا الْبَابِ؟». فَقَالَ أَحَدُهُمْ، وَقَدْ طَمَحَتْ نَفْسُهُ إِلَى الظَّفْرِ بِتَحْقِيقِ رَغْبَةِ الْأَمِيرِ: «أَنَا أَضَعِدُ عَلَيْهِ - أَيُّهَا الْأَمِيرُ - وَأَتَكْفَلُ بِفَتْحِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ». فَقَالَ الْأَمِيرُ «إِقْبَالَ»:

«اضْعُدْ. بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ».

فَصَعِدَ الْفَارِسُ أَذْرَاجَ السُّلَمِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَعْلَاهُ. وَمَا كَادَ يَرْتَقِي سُورَ الْمَدِينَةِ، وَتَثَبْتُ عَلَيْهِ قَدَمَاهُ، حَتَّى شَخَصَ بَبْصَرِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

«لَبَّيْكَ. لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ. هَآنَذَا حَاضِرٌ إِلَيْكَ، مَائِلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ».

ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ مِنْ ذَلِكَ الْعُلُوِّ الشَّاهِقِ، فَدَقَّتْ عُنُقُهُ، وَانْهَرَسَ لَحْمُهُ وَعَظْمُهُ!!

فَقَالَ الْأَمِيرُ «إِقْبَالَ»:

«إِذَا كَانَ هَذَا فِعْلَ الْعَاقِلِ، فَمَاذَا يَصْنَعُ الْمَجْنُونُ؟! أَمَا وَاللَّهِ لَيَفْنَيْنَّ أَصْحَابُنَا جَمِيعًا إِذَا اقْتَدَوْا بِفِعْلِ هَذَا الرَّائِدِ الْأَحْمَقِ. ارْجِعُوا، فَلَا حَاجَةَ بِنَا لِدُخُولِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْمَسْحُورَةِ، وَلَا خَيْرَ فِي الْبَقَاءِ هُنَا حَتَّى لَا نُعَرِّضَ أَصْحَابَنَا لِلرَّدَى، وَلَا نُلْقَى بِهِمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ».

فَقَالَ فَارِسٌ جَرِيءٌ:

«أَتِخْ لِي - يَا مَوْلَايَ - فُرْصَةً مَا جِدَّةً؛ لَعَلِّي أَثْبِتُ قَلْبًا مِنْ صَاحِبِي،  
وَأَرْجَحُ عَقْلًا. فَإِنَّ نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنَّي قَادِرٌ عَلَى فَتْحِ أَبْوَابِ هَذِهِ  
الْمَدِينَةِ مَتَى أُذِنَ لِي الْأَمِيرُ».

فَقَالَ الْأَمِيرُ «إِقْبَالَ»:

«أَخْشَى أَنْ يَنَالَكَ مَا نَالَ صَاحِبِكَ».

ثُمَّ أُذِنَ لَهُ. وَمَا إِنْ اسْتَقَرَّ عَلَى السُّورِ، حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَبْلِ  
مِثْلُ مَا ظَهَرَ عَلَى صَاحِبِهِ؛ فَصَفَّقَ بِكَفَّيْهِ، وَصَاحَ صَيْحَةً رَفِيقَهُ الْأَوَّلِ:  
«لَبَيْكَ. لَبَيْكَ، لَبَيْكَ. هَآنَذَا حَاضِرٌ إِلَيْكَ، وَمَا ثَلَّ بَيْنَ يَدَيْكَ».

ثُمَّ قَذَفَ بِنَفْسِهِ مِنْ فَوْقِ السُّورِ، وَهَوَى إِلَى أَرْضِ الْمَدِينَةِ،  
فَاخْتَلَطَ لَحْمُهُ بِعَظْمِهِ مِنْ فَوْرِهِ!

فَلَمْ يَثْنِ مَضْرَعُهُمَا مِنْ عَزْمِ إِخْوَانِهِمَا عَنْ مُتَابَعَتِهِمَا، وَتَهَاوَنُوا  
وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ، يُلْحِقُونَ فِي إِنْجَازِ مَا عَجَزَ عَنْهُ غَيْرُهُمْ، وَكُلُّهُمْ  
يَزْعُمُ أَنَّهُ أَقْدَرُ مِمَّنْ سَبَقَهُ، وَأَجْدَرُ بِالْفَوْزِ مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى هَلَكَ  
مِنْهُمْ جُمْهُورٌ كَبِيرٌ! وَلَمْ يَثْبُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى السُّورِ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا  
لَبِثَهُ غَيْرُهُ، ثُمَّ يَلْقَى مَضْرَعَهُ مِنْ فَوْرِهِ.

## ٧. قَائِدُ الْجَيْشِ

فَانْبَرَى قَائِدُ الْجَيْشِ قَائِلًا:

«مَا لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ. وَلَنْ تَرَى مِنِّي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -  
غَيْرَ مَا يَسُرُّكَ».

فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ «إِقْبَالَ»، وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْجَزَعُ:

«هَيْهَاتَ أَنْ أَدْنَى لَكَ بِذَلِكَ. كَلَّا، لَنْ أُمَكِّنَكَ مِنْ هَذِهِ الْمُحَاوَلَةِ  
الْجَرِيئَةِ بَعْدَ أَنْ ظَهَرْتُ لَكَ عَاقِبَتُهَا. وَأَنْتَ قَائِدُ الْجَيْشِ وَمُرْشِدُهُ،  
وَلَنْ يُطَاوِعَنِي قَلْبِي عَلَى أَنْ أُعَرِّضَكَ لِلْمَوْتِ بَعْدَ أَنْ رَأَيْتَ مَصَارِعَ  
ثَلَاثَةِ عَشَرَ مِنْ أَشْجَعِ فُرْسَانِنَا الْمُدْرِيِّينَ».

وَطَالَ الْحَوَارُ وَالْجَدَلُ بَيْنَ الْأَمِيرِ وَقَائِدِ الْجَيْشِ، ثُمَّ انْتَهَى رَأْيُ الْأَمِيرِ  
إِلَى إِجَابَةِ الْقَائِدِ؛ ثِقَّةً بِحِزَامَةِ أَمْرِهِ، وَرَجَاحَةً عَقْلِهِ، وَرِبَاطَةً جَاشِهِ.  
وَارْتَقَى الْقَائِدُ السُّلْمَ، وَقَلْبُهُ مُمْتَلِئٌ يَقِينًا وَإِيمَانًا بِنَجَاحِ مَسْعَاهُ؛  
حَتَّى بَلَغَ أَعْلَى السُّورِ. وَمَا كَادَ يَفْعَلُ حَتَّى شَخَّصَ بَبَصَرِهِ، وَبَدَتْ  
عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الاضْطِرَابِ، وَصَاحَ كَمَا صَاحَ أَصْحَابُهُ مِنْ قَبْلُ:  
«لَبَيْكَ. لَبَيْكَ، لَبَيْكَ. هَآنَذَا حَاضِرٌ إِلَيْكَ، وَمَائِلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ».

ثُمَّ قَذَفَ بِنَفْسِهِ مِنْ فَوْقِ السُّورِ، وَهَوَى إِلَى الْأَرْضِ كَمَا هَوَى  
أَصْحَابُهُ مِنْ قَبْلُ!!

## الْفَتْحُ الثَّانِي

### ١. فَاتِحُ الْمَدِينَةِ

فَلَمَّا رَأَى الْأَمِيرُ «إِقْبَالَ» مَصَارِعَ أَتْبَاعِهِ، وَهَلَكَ قَائِدُ جَيْشِهِ؛ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يُقْلِعُوا عَنْ مُحَاوَلَتِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «مَا لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرِي».

فَارْتَاعَ أَصْحَابُ الْأَمِيرِ وَجَزَعُوا، وَتَفَزَّعُوا مِمَّا سَمِعُوا، وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ ضَارِعِينَ أَنْ يَكْفَ عَنْ هَذِهِ الْمُخَاطَرَةِ، وَقَالُوا لَهُ مُسْتَعْطِفِينَ: «تَرَفَّقْ بِنَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَإِنَّ حَيَاتِنَا رَهْنٌ بِحَيَاتِكَ، وَلَا سَبِيلَ لَنَا إِلَى الْبَقَاءِ بَعْدَكَ، فَانْتَ دَلِيلُنَا وَرَائِدُنَا، وَهَادِينَا وَمُرْشِدُنَا».

فَقَالَ الْأَمِيرُ:

«لَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أُدْرِكَ هَذِهِ الْغَايَةَ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهَا، وَلَنْ يَشِينَنِي عَنْ بُلُوغِهَا شَيْءٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

فَلَمَّا رَأَوْا إِضْرَارَ الْأَمِيرِ عَلَى عَزْمِهِ، وَعَجَزَهُمْ عَنْ مُقَاوَمَةِ إِرَادَتِهِ، كَفُّوا عَنْ إِحْكَافِهِمْ، وَاتَّجَّهُوا إِلَى اللَّهِ بِدُعَائِهِمْ وَرَجَائِهِمْ. وَارْتَقَى الْأَمِيرُ دَرَجَاتِ السُّلْمِ الْعَالِي حَتَّى بَلَغَ ذِرْوَتَهُ. وَمَا كَادَ يَسْتَقِرُّ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ حَتَّى اسْتَخَفَّهُ الْفَرَحُ، فَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ إِعْجَابًا،

وَشَخَصَ بَبَصَرِهِ إِلَى الْفَضَاءِ مُتَأَمِّلاً! فَجَزَعَ أَصْحَابُهُ مِمَّا رَأَوْا،  
وَتَوَهَّمُوا أَنَّ أَمِيرَهُمْ سَيَلْحَقُ بِمَنْ سَبَقَهُ مِنَ الْهَالِكِينَ، وَحَسِبُوا أَنَّهُ  
قَازِفٌ بِنَفْسِهِ مِنْ أَعْلَى السُّورِ الشَّاهِقِ. فَتَعَالَى صُرَاخُهُمْ، وَانْطَلَقُوا  
يَصِيحُونَ مَدْعُورِينَ:

«رُحْمَاكَ اللَّهُمَّ رُحْمَاكَ! تَرَفَّقَ بِنَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ، وَلَا تُلْقِ بِنَفْسِكَ  
إِلَى التَّهْلُكَةِ؛ فَضُبِحَ بَعْدَكَ مِنَ الْهَالِكِينَ».

وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ، وَتَغَلَّبَتِ الْحِكْمَةُ عَلَى الطِّيْشِ، وَانْتَصَرَ الْعَقْلُ  
عَلَى السَّحْرِ. فَجَلَسَ الْأَمِيرُ سَاعَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ نَهَضَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ  
بِأَعْلَى صَوْتِهِ فِي لَهْجَةِ الْوَاتِقِ، الثَّابِتِ الْعَزْمِ:

«لَا تَخَافُوا عَلَيَّ، وَلَا تَهِنْ عَزَائِمُكُمْ أَيُّهَا الرَّفَاقُ، وَلَنْ تَرَوْا إِلَّا مَا  
يَسُرُّكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لَقَدْ صَرَفَ اللَّهُ عَنِّي كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَمَكْرَهُ».  
وَجَلَسَ الْأَمِيرُ قَلِيلًا يُفَكِّرُ فِي فَتْحِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ نَهَضَ  
قَائِمًا.

## ٢. الْجَوَارِي الْعَشْرُ

أَيُّهَا الصَّدِيقُ الصَّغِيرُ: أَتَعْرِفُ مَاذَا رَأَى الْأَمِيرُ حِينَ وَقَفَ عَلَى  
سُورِ الْمَدِينَةِ؟

لَقَدْ شَهِدَ مَا لَمْ يَشْهَدُهُ إِنْسَانٌ، وَرَأَى أَعْجَبَ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ  
عَيْنَانِ، وَسَمِعَ أَعْجَبَ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَانِ! رَأَى عَشْرَ جَوَارٍ، كَأَنَّهُنَّ  
الْأَقْمَارُ، يُشْرِنُ بِأَيْدِيهِنَّ إِلَيْهِ، وَيُنَادِيْنَهُ قَائِلَاتٍ:  
«تَعَالَ إِلَيْنَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْعَظِيمُ!».

وَخِيَلَ إِلَيْهِ أَنَّ تَحْتَهُ بَحْرًا مِنَ الْمَاءِ دَانِيًا مِنْهُ (قَرِيبًا)، فَهَمَّ أَنْ  
يَفْعَلَ كَمَا فَعَلَ مَنْ سَبَقَهُ، فَرَأَى أَصْحَابَهُ صَرَغَى. فَثَابَ إِلَيْهِ رُشْدُهُ،  
وَأَدْرَكَ أَنَّ مَا يَرَاهُ خِدَاعُ سَاحِرٍ، فَاسْتَمْسَكَ، وَاعْتَصَمَ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ  
يُلْقِ بِنَفْسِهِ.

وَهَكَذَا رَدَّ اللَّهُ عَنْهُ كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَفِتْنَتَهُ، وَتَجَلَّى لَهُ أَنَّ مَا رَأَهُ لَمْ  
يَكُنْ إِلَّا مَكِيدَةً دَبَّرَهَا سَاحِرٌ بَارِعٌ؛ لِيُرَدَّ عَنِ الْمَدِينَةِ كُلِّ مَنْ يُحَاوِلُ  
اِقْتِحَامَهَا، وَيُرْوِمَ الْوُصُولَ إِلَيْهَا. وَهَكَذَا رُفِعَتِ الْغِشَاوَةُ عَنْ عَيْنَيْهِ،  
وَتَكشَّفَ لَهُ هَوْلُ مَا كَانَ مُقَدِّمًا عَلَيْهِ، وَزَالَ عَنْهُ كَيْدُ الْكَائِدِينَ،  
وَحَمْدَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - عَلَى مَا أَنَارَ لَهُ مِنْ طَرِيقٍ، وَيَسَّرَ لَهُ مِنْ رُشْدٍ  
وَتَوْفِيقٍ؛ فَقَدْ شَاءَتْ رَحْمَتُهُ بِالْأَمِيرِ أَنْ يُبْصِرَهُ بِمَوْجِ الْخَطَرِ، فَاعْتَبَرَ  
بِمَصْرَعِ أَصْحَابِهِ.

وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ وَعِظَ بِنَفْسِهِ!

### ٣. الطَّلَسْمُ

وَمَشَى الْأَمِيرُ عَلَى السُّورِ بَضْعَ خُطَوَاتٍ، فَرَأَى بُرْجًا عَالِيًا مِنْ  
النُّحَاسِ، لَهُ بَابٌ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ (الْخَالِصِ)، مَفْتُوحٌ عَلَى  
مِصْرَاعَيْهِ. وَحَانَتْ مِنْهُ التِّفَاتَةُ، فَرَأَى فِي وَسْطِ الْبَابِ صُورَةَ فَارِسٍ  
مِنْ نُحَاسٍ، لَهُ كَفٌّ مَمْدُودَةٌ كَأَنَّمَا تُشِيرُ إِلَى لَوْحٍ مَكْتُوبٍ. فَقَرَأَهُ  
الْأَمِيرُ؛ فَإِذَا فِيهِ :

«مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْعَظِيمُ. مَرْحَبًا بِكَ يَا مُخْلِصَ مَدِينَةِ  
النُّحَاسِ، وَوَاهِبَ الْحُرِّيَّةِ لِمَنْ فِيهَا مِنَ النَّاسِ.  
تَأْمَلِ الزُّبْرُكَ الَّذِي تَرَاهُ فِي صَدْرِ الْفَارِسِ، وَأَدِرْهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ  
دَوْرَةً، ثُمَّ افْرُكِ الْمِسْمَارَ اللَّوَلِيَّ الَّذِي بِجَانِبِهِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً.»

### ٤. مَفَاتِيحُ الْمَدِينَةِ

فَتَعَجَّبَ الْأَمِيرُ مِمَّا رَأَى. وَمَا إِنْ أَتَمَّ قِرَاءَةَ وَصِيَّةِ الطَّلَسْمِ حَتَّى  
انْفَتَحَ أَمَامَهُ بَابٌ صَغِيرٌ فِي الْحَالِ، سُمِعَ لَهُ صَوْتُ خَافِتٍ، فَدَخَلَ مِنْهُ  
سَالِكًا دِهْلِيْزًا طَوِيلًا، انْتَهَى بِهِ إِلَى سُلَّمٍ نُحَاسِيٍّ صَغِيرِ الدَّرَجِ، فَهَبَطَ

مِنْهُ بَضْعَ دَرَكَاتٍ، فَرَأَى رَذَهَةً اصْطَفَتْ فِيهَا الْأَرَائِكُ، يَجْلِسُ عَلَيْهَا  
حُرَّاسٌ أَشَدَّاءُ أَقْوِيَاءُ كَامِلُو الْعَتَادِ، فِي أَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ الْمُرْهَفَةُ،  
وَالْقِسِيُّ الْمُوتَرَةُ، وَالسَّهَامُ الْمُفَوَّقَةُ. فَابْتَدَأَهُمُ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ،  
فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ! فَحَسِبَهُمْ نَائِمِينَ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ:  
«لَعَلَّ مَفَاتِيحَ الْمَدِينَةِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ!».

ثُمَّ أَدَارَ لِحَاظَهُ، فَرَأَى رَجُلًا مَهِيَبَ الطَّلَعَةِ، رَائِعَ السَّمْتِ، بَادِيَ  
الْفُتُوَّةِ، شَدِيدَ الْبَأْسِ وَالْقُوَّةِ، وَهُوَ عَلَى أَرِيكَةٍ عَالِيَةٍ. فَقَالَ الْأَمِيرُ:  
«لَعَلَّ هَذَا صَاحِبُ مَفَاتِيحِ الْمَدِينَةِ.»

وَحَيَّاهُ، فَلَمْ يُجِبْهُ!!

وَحَانَتْ مِنْهُ التِّفَاتَةُ، فَرَأَى عَلَى قَيْدِ (مَسَافَةٍ) خُطُواتٍ مِنْهُ أَرِيكَةً  
عَلَيْهَا رَجُلٌ قَاعِدٌ، وَفِي ذِرَاعِهِ سِلْسِلَةٌ مِنَ النُّحَاسِ الْأَصْفَرِ، فِيهَا  
أَرْبَعَةٌ عَشَرَ مِفْتَاحًا. فَعَرَفَ أَنَّهُ بَوَّابُ الْمَدِينَةِ. فَدَنَا مِنْهُ الْأَمِيرُ وَسَلَّمَ  
عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ! فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً، فَلَمْ يُجِبْ  
بِشَيْءٍ!! فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَ مُتَعَجِّبًا:

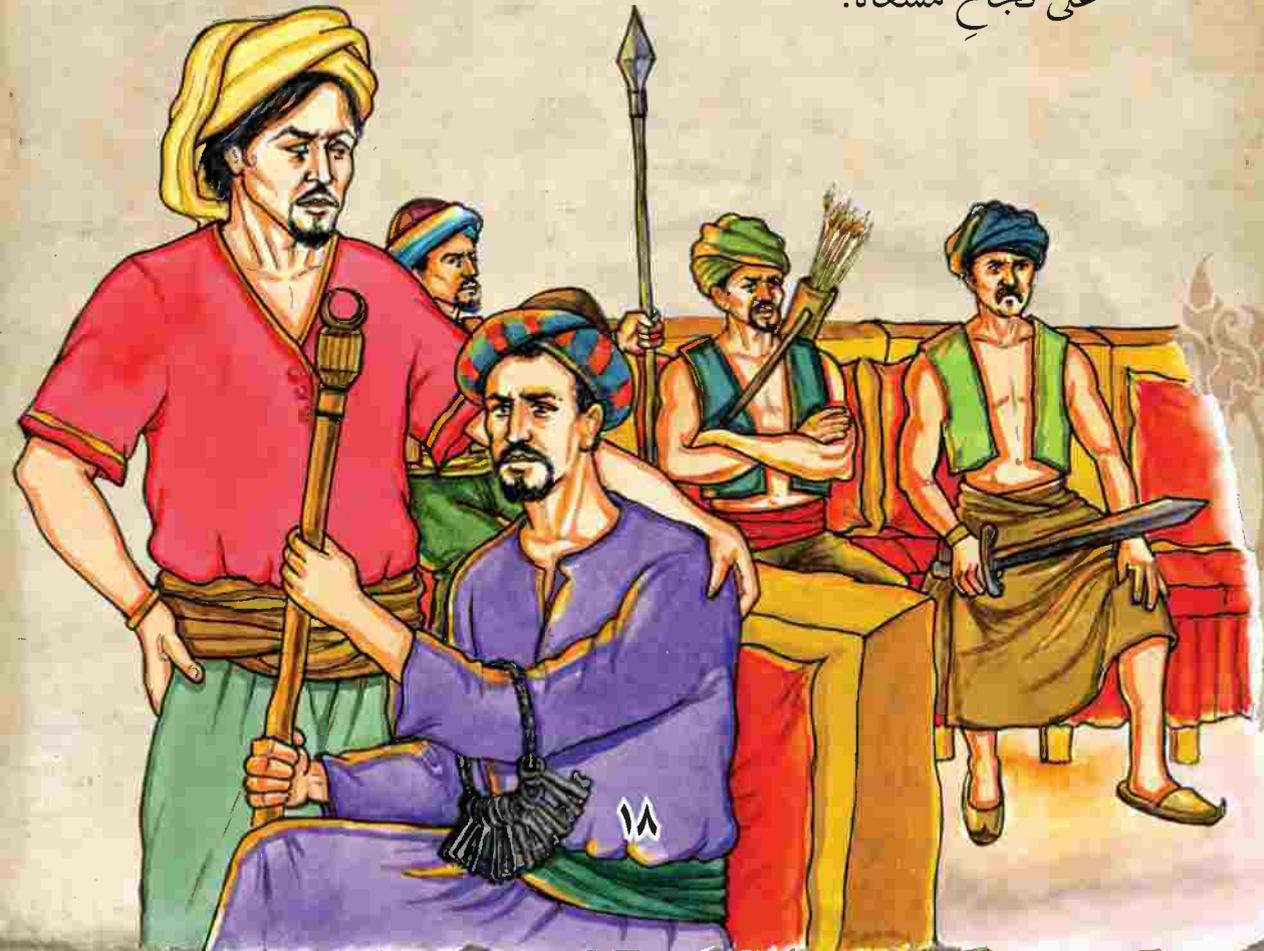
«مَا بَالِي لَا أَسْمَعُ مِنْ أَحَدٍ رَدَّ تَحِيَّتِي! أَنَايْمٌ أَنْتَ كَأَصْحَابِكَ أَمْ  
أَصَمُّ؟».

فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ وَلَمْ يَتَحَرَّكَ. فَتَأَمَّلَهُ الْأَمِيرُ فَاحْصًا؛ فَإِذَا هُوَ تِمَثَّالٌ  
مِنَ النُّحَاسِ لَا حَرَكَاتٍ بِهِ!!

فَقَالَ الْأَمِيرُ:

«هَذَا أَعْجَبُ مَا رَأَيْتُ. إِنَّهُ تِمَثَالٌ رَائِعُ الصُّنْعِ لِإِنْسَانٍ يَنْبُضُ  
بِالْحَيَاةِ، وَلَا يُعَوِّزُهُ غَيْرُ النُّطْقِ. وَمَا أَظُنُّ أَصْحَابَهُ إِلَّا كَذَلِكَ.»  
ثُمَّ أَخَذَ الْمَفَاتِيحَ مُيَمَّمًا بَابَ الْمَدِينَةِ، وَفَتَحَ الْأَقْفَالَ، وَرَفَعَ  
الْمَزَالِيحَ، وَأَزَاخَ الْمَتَارِيْسَ، وَجَذَبَ الْبَابَ جَذْبَةً قَوِيَّةً، فَانْفَتَحَ فِي  
جَلْبَةٍ وَقَعْقَعَةٍ.

فَفَرِحَ جُنُودُهُ بِنَجَاحِهِ، وَتَعَالَتْ صَيْحَاتُ الْإِعْجَابِ وَالْإِكْبَارِ،  
وَالْفَرَحِ وَالِاسْتِبْشَارِ بِمَا ظَفَرَ بِهِ الْأَمِيرُ مِنْ فَوْزٍ كَبِيرٍ، حَامِدِينَ اللَّهَ  
عَلَى نَجَاحِ مَسْعَاهُ.



## الفصل الثالث

### ١ - بَيْنَ الْجَيْشِ وَآمِيرِهِ

وَخَشِيَ الْأَمِيرُ أَنْ يَتَعَرَّضَ جَيْشُهُ لِلْخَطَرِ إِذَا دَخَلَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ الْمَسْحُورَةَ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِهَا؛ فَأَمَرَ جَيْشَهُ بِالْبَقَاءِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ حَتَّى يَرْتَادَ أَسْوَاقَهَا، وَيَتَعَرَّفَ خَبَايَاهَا وَأَسْرَارَهَا. فَإِذَا اطْمَأَنَّ عَلَى سَلَامَةِ جَيْشِهِ؛ أَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ. وَخَشِيَ أَصْحَابُ الْأَمِيرِ أَنْ يَتَعَرَّضَ أَمِيرُهُمْ لِلْخَطَرِ إِذَا دَخَلَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ الْمَسْحُورَةَ، وَضَاعَفَ مِنْ خَوْفِهِمْ عَلَيْهِ مَا شَاهَدُوهُ مِنْ مَصَارِعِ إِخْوَانِهِمْ، وَقَائِدِهِمْ. فَرَأَوْا يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْفَ عَنْ مُحَاوَلَتِهِ، وَأَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ - أَوْ لِمَنْ يَخْتَارُهُ مِنْهُمْ - فِي ازْتِيَادِ الْمَدِينَةِ قَبْلَهُ؛ لِيَجَنَّبَهُ الْأَخْطَارَ. وَلَكِنَّ الْأَمِيرَ أَصْرَّ عَلَى رَأْيِهِ، وَأَصَمَّ أُذُنَيْهِ عَنْ رَجَائِهِمْ، وَأَبَى إِلَّا أَنْ يَفْدِيَ جَيْشَهُ بِنَفْسِهِ؛ فَلَمْ يَسْعَهُمْ غَيْرَ الْخُضُوعِ لِرَأْيِهِ.

### ٢ - فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ

وَمَشَى الْأَمِيرُ فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ بِضَعِ خُطَوَاتٍ، فَرَأَى رَجُلًا وَاقِفًا عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَيَمُدُّ يَدَهُ بِالتَّحِيَّةِ فِي بَشَاشَةٍ وَلُطْفٍ؛

فَأَسْرَعَ الْأَمِيرُ إِلَى تَحِيَّتِهِ، وَمَدَّ إِلَيْهِ يَدَهُ، فَوَجَدَهُ جَامِدًا لَا يَتَحَرَّكُ.  
وَتَأَمَّلَهُ فَإِذَا هُوَ تِمَثَالٌ مِنَ النَّحَاسِ!

وَمَشَى الْأَمِيرُ خُطَوَاتٍ قَلِيلَةً، فَرَأَى جَمَاعَةً يَتَشَاجِرُونَ، وَقَدْ  
أَمْسَكَ بَعْضُهُمْ بِتَلَابِيحِ رَجُلٍ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِمْ، لِيُخَلِّصَهُ مِنْهُمْ،  
فَوَجَدَهُمْ جَمِيعًا تَمَائِلَ جَامِدَةٍ!

ثُمَّ مَشَى فِي الْمَدِينَةِ بِضَعِ خُطَوَاتٍ، فَرَأَى رَجُلًا وَقَفًا فِي عَرْضِ  
الطَّرِيقِ، فَدَنَا مِنْهُ لِيَتَأَمَّلَهُ، فَإِذَا هُوَ تِمَثَالٌ لَا حَرَكَةَ بِهِ!

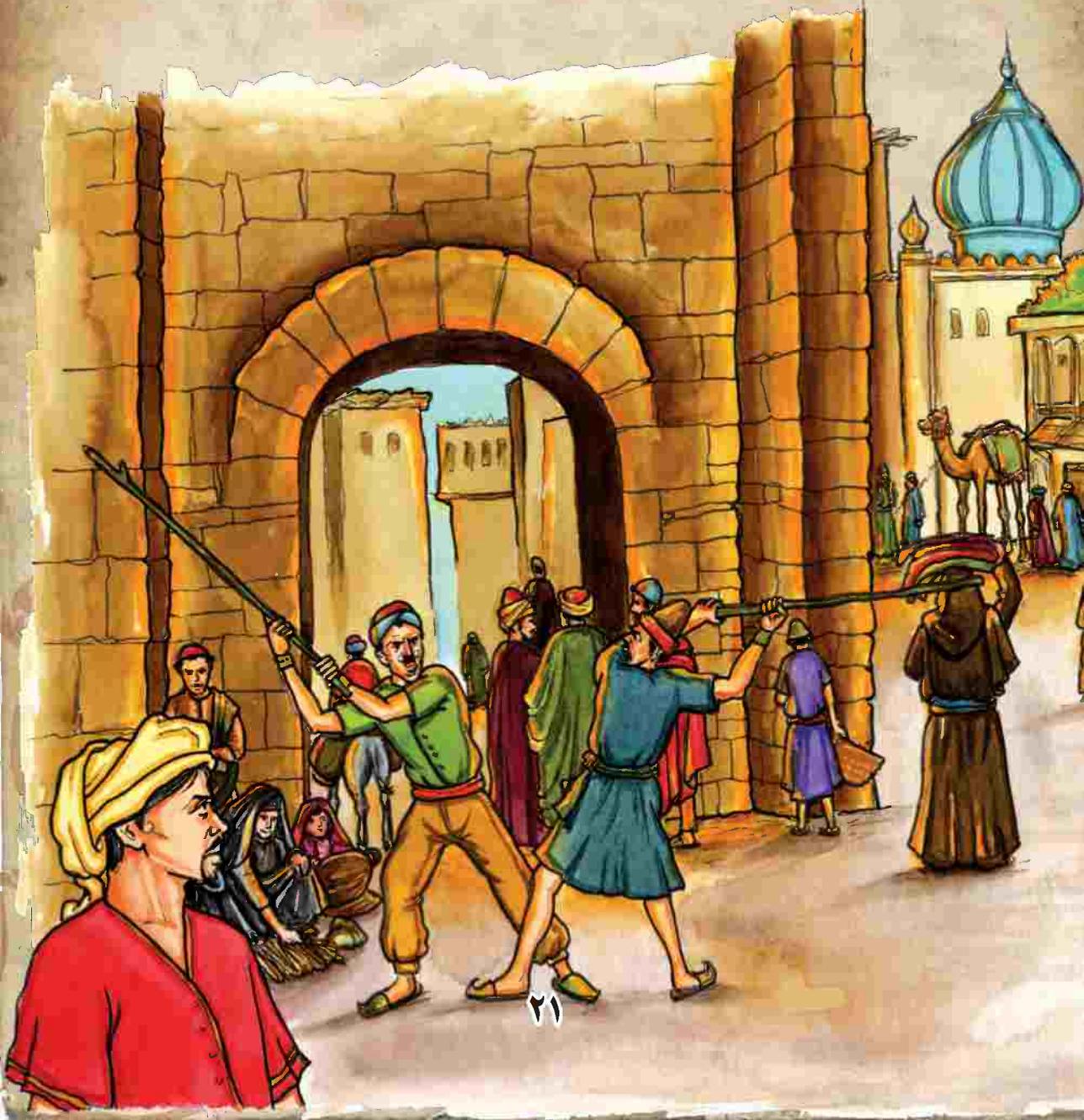
فَاشْتَدَّ بِالْأَمِيرِ الْعَجَبُ، وَاسْتَأْنَفَ سَيْرَهُ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ، فَرَأَى  
كُلَّ مَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِمْ عَيْنَاهُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يَتَحَرَّكُونَ، وَقَابَلَ عَجُوزًا  
عَلَى رَأْسِهَا أَثَوَابٌ اشْتَرَتْهَا مِنْ دُكَّانِ ثَوَابٍ، فَدَنَا مِنْهَا، وَتَأَمَّلَهَا، فَلَمْ  
يَرَ أَمَامَهُ غَيْرَ تِمَثَالٍ! وَرَأَى جَمَهْرَةً مِنْ نِسَاءٍ وَصَبِيَانٍ وَأَطْفَالٍ،  
وَشَبَابٍ وَكُهُولٍ، وَصَبَايَا وَعَجَائِزَ لَيْسَ مِنْهُمْ مَنْ يَتَحَرَّكُ أَوْ يَتَكَلَّمُ،  
فَهُمْ تَمَائِلٌ لَا تُشِيرُ بِطَرْفٍ (بِعَيْنٍ)، وَلَا تَنْطِقُ بِحَرْفٍ!!

### ٣ - أَسْوَاقُ الْمَدِينَةِ

وَاسْتَأْنَفَ الْأَمِيرُ سَيْرَهُ، فَوَجَدَ أَسْوَاقًا أَرْبَعًا، فَدَخَلَهَا - وَاحِدَةً  
بَعْدَ الْأُخْرَى - فَوَجَدَ كُلَّ مَنْ فِيهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَنَاسٍ تَمَائِلَ مَضْبُوبَةٍ

مِنَ النَّحَاسِ .

هَذِهِ دَكَائِنُ الصَّنَاعِ وَالتُّجَّارِ مَفْتُوحَةَ الْأَبْوَابِ ، مَعْرُوضَةَ السَّلْعِ ،  
مَصْفُوفَةَ الْبَضَائِعِ ، مُعَلَّقَةَ الْمَوَازِينِ ، أَصْحَابُهَا وَزَائِرُوهَا تَمَائِيلُ لَا  
تَعِي وَلَا تَنْطِقُ !!



هَذَا حَدَادٌ فَارِعُ الطُّولِ، مَفْتُولُ السَّاعِدَيْنِ، يَفِيضُ نَشَاطًا وَقُوَّةً،  
وَقَدْ رَفَعَ مِطْرَقَتَهُ لِيَهْوِيَ بِهَا عَلَى السَّنْدَانِ، فَبَقِيَتْ ذِرَاعُهُ مَمْدُودَةً،  
وَمِطْرَقَتُهُ مُعَلَّقَةٌ فِي الْفَضَاءِ، وَأَمَامَهُ صَبِيهُ نَافِخُ الْكَبِيرِ، جَامِدٌ  
كَمُعَلِّمِهِ.

وَهَذَا نَجَّارٌ يَشُقُّ لَوْحًا كَبِيرًا بِمِنْشَارِهِ، وَقَدْ بَلَغَ مُتَنَصِّفَهُ، وَوَقَفَ  
حَيْثُ هُوَ لَا حَرَكَ بِهِ.

وَذَلِكَ زِيَّاتٌ نَصَبَ مِيزَانَهُ، وَأَمَامَهُ الْبَضَائِعُ مِنْ جُبْنٍ وَزَيْتُونٍ، وَمَا  
إِلَى ذَلِكَ، هَامِدًا لَا يَتَحَرَّكُ. وَهَذَا تِيَّانٌ يَبِيعُ التِّينَ، وَتَمَّارٌ يَبِيعُ التَّمْرَ  
(الْبَلَحَ)، وَعَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُمَا فَاكِهَانِيٌّ يَبِيعُ الْفَاكِهَةَ، يَلِيهِ دَقِيقِيٌّ يَبِيعُ  
الدَّقِيقَ.

وَمَشَى خُطُواتٍ قَلِيلَةً فَرَأَى جَدًّا لَا يَبِيعُ الطُّيُورَ، وَجَزَّارًا يَبِيعُ  
اللَّحْمَ، وَرِئَّاسًا يَبِيعُ الرُّؤُوسَ، وَسَمَّانًا يَبِيعُ السَّمْنَ، وَدَهَّانًا يَبِيعُ  
الدُّهْنَ، وَبَيَّاضًا يَبِيعُ الْبَيْضَ، وَجَبَّانًا يَبِيعُ الْجُبْنَ، وَعَسَّالًا يَبِيعُ  
العَسَلَ، وَخَبَّازًا يَبِيعُ الخُبْزَ.

ثُمَّ سَارَ الْأَمِيرُ إِلَى سُوقِ ثَانِيَةٍ، فَرَأَى دَكَكِينَ الْبُرَّازِينَ وَالثَّوَابِينَ  
مَمْلُوءَةً بِأَنْوَاعِ الثِّيابِ مِنَ الْقُطْنِ وَالكَتَّانِ، وَالخَزِّ وَالْحَرِيرِ،  
وَالدِّيَاجِ الْمَنسُوجِ بِالذَّهَبِ الْأَحْمَرِ وَالْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَمَا إِلَيْهَا مِنْ  
مُخْتَلَفِ الثِّيابِ.

وَرَأَى الْفَرَّائِينَ يَبِيعُونَ الْفِرَاءَ، وَالْوَشَائِينَ يَعْمَلُونَ الْوَشَى،  
وَالرَّفَائِينَ يَرْفَأُونَ الثِّيَابَ، وَالْهَدَّائِينَ يَفْتَلُونَ الْخَيْطَ، وَالنَّجَادِينَ  
يَخِيطُونَ الْفُرُشَ وَالْوَسَائِدَ، وَالْكَوَّائِينَ يَكْوُونُ الثِّيَابَ، وَالْأَبَّارِينَ  
يَصْنَعُونَ الْإِبْرَ، وَالنَّسَّاجِينَ يَنْسُجُونَ الثِّيَابَ، وَالْحَدَّائِينَ يَصْنَعُونَ  
الْأَحْذِيَّةَ، وَإِلَى جَانِبِهِمْ طَائِفَةٌ مِنَ الصَّبَّاعِينَ وَالِدَّبَّاعِينَ.

ثُمَّ انْتَقَلَ الْأَمِيرُ إِلَى سُوقِ ثَالِثَةٍ، فَرَأَى جَمَاعَةً مِنَ الصِّيَاغِ وَتُجَّارِ  
اللُّؤْلُؤِ وَأَمَامَهُمْ نَفَائِسُ الْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ كَالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرِّدِ  
وَالْمَرْجَانِ (صِغَارِ اللَّؤْلُؤِ)، وَكُلُّهُمْ - بَيْنَ وَقِفٍ وَجَالِسٍ - سَاكِنٌ  
لَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يَنْطِقُ.

وَرَأَى الزُّجَّاجِينَ يَصْنَعُونَ الزُّجَاجَ، وَالْخَزَائِينَ يَبِيعُونَ الْخَزْفَ،  
وَالْفَخَّارِينَ يَصْنَعُونَ أَوْانِي الْفَخَّارِ، وَالْجَلَّائِينَ يَجْلُونَ الْآيَةَ،  
وَالْعَوَّاجِينَ يَبِيعُونَ الْعَاجَ، وَالسَّكَّاكِينَ يَعْرِضُونَ السَّكَاكِينَ،  
وَالشَّعَّابِينَ يُصْلِحُونَ مَا تَصَدَّعَ مِنَ الْأَوْانِي.

وَمَشَى خُطُوبَاتٍ قَلِيلَةً فَرَأَى صَيْدَلِيًّا يَبِيعُ الْأَدْوِيَةَ، وَإِلَى جِوَارِهِ  
مُجَبَّرًا يَجْبُرُ الْعِظَامَ الْمَكْسُورَةَ، وَأَنْتَهَى بِهِ الْمَطَافُ إِلَى السُّوقِ  
الرَّابِعَةِ حَيْثُ وَجَدَ النَّخَّاسِينَ يَبِيعُونَ الدَّوَابَّ: فَهَذَا مَعَاذُ يَصْحَبُ  
مَعِيزُهُ، وَذَلِكَ كَلَّابٌ مَعَهُ كِلَابُهُ، وَمِنْ بَعْدِهِمَا شَائِيٌّ يَصْحَبُ شَاءَهُ  
وَنَعَاجَهُ.

وَمَا زَالَ الْأَمِيرُ يَنْتَقِلُ مِنْ سُوقٍ إِلَى سُوقٍ، وَمِنْ طَرِيقٍ إِلَى طَرِيقٍ،  
فَلَا يَرَى إِلَّا رَوَاعٍ مِنَ التَّمَاثِيلِ النُّحَاسِيَّةِ، حَيَوَانِيَّةً وَإِنْسَانِيَّةً.

## ٤. حَيْرَةُ الْأَمِيرِ

شَدَّ مَا أَدْهَشَهُ وَحَيْرَ عَقْلَهُ أَلَّا يَرَى فِي الْمَدِينَةِ كُلِّهَا أَحَدًا مِنَ  
الْأَحْيَاءِ! وَاعْجَبًا! أَلَيْسَ فِيهَا مَنْ يَنْطِقُ أَوْ يُجِيبُ؟!  
يَا لَعْرَابَةَ مَا يَشْهَدُ! حَتَّى الْكِلَابُ وَالْقِطَطَةُ وَسَائِرُ الطُّيُورِ  
وَالْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا تَمَاتِيلُ هَامِدَةٌ مِنَ النُّحَاسِ، فَاقِدَةٌ الْحَيَاةَ! يَا لَهَوْلِ  
مَا تَرَاهُ عَيْنَاهُ! أَكُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ تَمَاتِيلٌ لَا حَرَكَةَ بِهَا وَلَا حِسَّ، لَا  
يَتَرَدَّدُ بَيْنَ جَنَابَتَيْهَا نَفْسٌ!؟

تُرَى: أَيُّ سَاحِرٍ غَضِبَ عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَسَلَّطَ نِقْمَتَهُ عَلَى  
أَهْلِهَا، وَمَسَخَ سَاكِنَيْهَا؛ فَحَوَّلَ أَجْسَادَ مَنْ فِيهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَنَاسٍ،  
تَمَاتِيلَ مُبْدَعَةً مِنَ النُّحَاسِ؛ تُخَيَّلُ لِرَائِيهَا أَنَّهَا تَنْبِضُ بِالْحَيَاةِ.  
وَلَكِنَّ أَصْحَابَهَا لَا يَتَحَرَّكُونَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ، يُسْأَلُهُمْ فَلَا يُجِيبُونَ،  
وَيُحَاوِرُهُمْ فَلَا يَنْطِقُونَ!؟

## الفصل الرابع

### ١ - في القصر الملكي

وَمَا زَالَ الْأَمِيرُ يَتَنَقَّلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ حَتَّى انْتَهَى بِهِ السَّيْرُ إِلَى  
قَصْرِ عَلِيِّ الْبُنْيَانِ، رَائِعِ التَّصَاوِيرِ. فَلَمَّا دَخَلَهُ رَأَى جَمَاعَةً مِنَ الْجُنْدِ  
وَالْحَرَسِ يَقِفُونَ عَلَى الْأَبْوَابِ، وَخَلْفَهُمْ جَمَاعَةٌ أُخْرَى جَالِسِينَ  
عَلَى أَرَائِكِ فَاحِرَةٍ، صُفَّتْ عَلَيْهَا الْوَسَائِدُ الْحَرِيرِيَّةُ، مُوشَّاةً بِأَجْمَلِ  
النُّقُوشِ، وَقَدْ ارْتَدَّوْا أَبْهَى الثِّيَابِ؛ يُخَيَّلُونَ إِلَيْكَ أَنَّ دَمَ الْحَيَاةِ  
يَجْرِي فِي عُرُوقِهِمْ، فَإِذَا دَانِيَتْهُمْ وَجَدْتَهُمْ تَمَاثِيلَ جَامِدَةٍ!!



وَمَشَى فِي جَنَابِ الْقَصْرِ، فَرَأَى قَاعَةً فَسِيحَةً يَجْلِسُ عَلَيْهَا وُزَرَاءُ  
الدَّوْلَةِ وَأَمْرَاؤُهَا. وَحَانَتْ مِنْهُ التِّفَاتُ، فَأَبْصَرَ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ  
كُرْسِيًّا مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ مُرْصَعًا بِأَنْفَسِ الْحِجَارَةِ الْكَرِيْمَةِ، وَقَدْ  
جَلَسَ فِيهِ الْمَلِكُ فِي أَفْخَمِ حُلِّهِ، وَرَأَى عَلَى مَفْرِقِهِ تَاجًا مُكَلَّلًا بِنَفِيسِ  
الدَّرِّ وَثَمِينِ اللَّالِي، تَشُعُّ مِنْهَا الْأَضْوَاءُ، فَتَحِيلُ الظَّلَامَ نُورًا.  
ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى قَاعَةٍ أُخْرَى، فَرَأَى طَائِفَةً مِنَ الْجَوَارِي وَالْوَصَائِفِ،  
حَوْلَ مَلِيكَتِهِنَّ، لِتَلْقَى إِشَارَتَهَا، مُتَأَهَّبَاتٍ لِتَنْفِيذِ رَغْبَتِهَا.  
وَعَجَبَ الْأَمِيرُ مِنْ بَرَاعَةِ الْمُهَنْدِسِينَ، وَافْتِنَانِهِمْ فِي هُنْدَسَةِ الْقَصْرِ  
وَنَقْشِهِ، وَتَنْسِيقِ أَثَائِهِ وَفَرَشِهِ، وَرَوْعَةِ تَصَاوِيرِهِ، وَسَنَا مَصَابِيحِهِ  
الْبُلُورِيَّةِ، وَثُرَيَّاتِهِ الْمُتَالِقَةَ بِنَفَائِسِ مِنَ الدَّرِّ الْيَتِيمِ (النَّادِرِ).

## ٢- حَوَارِ الْأَمِيرَيْنِ

وَاسْتَأْنَفَ سَيْرُهُ مُتَقَلًّا مِنْ عَجَبٍ إِلَى عَجَبٍ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَاعَةٍ  
فَآخِرَةٍ، فَرَأَى فَتَاةً جَمِيلَةَ الْمُحْيَا، مُشْرِقَةَ الطَّلَعَةِ - تَقْرَأُ فِي كِتَابٍ -  
وَمَا إِنَّ لَمَحَّتُهُ، حَتَّى خَفَّتْ إِلَيْهِ تَسْتَقْبِلُهُ، وَتَبَدَّرَتْهُ بِالتَّحِيَّةِ فِي أَدَبٍ  
وَاحْتِرَامٍ، وَتُنَادِيهِ بِاسْمِهِ مُرْحَبَةً بِهِ، فَرِحَانَةً بِمَقْدَمِهِ فَاسْتَدَّ عَجَبٌ



الأمير مِمَّا رَأَى وَسَمِعَ، فَقَالَ لَهَا مَدْهُوْشًا:

«كَيْفَ عَرَفْتِنِي، وَنَادَيْتَنِي بِاسْمِي؟!».

فَقَالَتْ لَهُ مُبْتَسِمَةً:

«لَا تَعْجَبْ مِمَّا تَرَى وَتَسْمَعُ؛ فَإِنَّا أَتَرَقَّبُ قُدُومَكَ مُنْذُ زَمَنٍ

طَوِيلٍ!«.

فَقَالَ لَهَا مُتَحِيرًا:

«تَتَرَقَّبِينَ قُدُومِي! كَيْفَ؟! وَمَنْ أَنْبَأَكَ عَنِّي؟! وَمَا بَالُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ

قَدْ مُسِخَ سَاكِنُوهَا، وَتَحَوَّلَ قَاطِنُوهَا تَمَائِيلَ مِنَ النَّحَاسِ، وَبَقِيَتْ

أَنْتِ وَحَدِّكَ سَالِمَةً بِنَجْوَةٍ مِمَّا لِحِقَ أَهْلِهَا مِنَ الْمَسِخِ؟! أَيُّ الْغَازِ

أَرَى وَأَحَاجِيَّ؟!«.

فَقَالَتْ لَهُ الْفَتَاةُ مُتَلَطِّفَةً:

«هَآنِذِي أَفْضَى إِلَيْكَ بِمَا تُرِيدُ مِنْ أَنْبَاءٍ إِذَا تَفَضَّلْتَ بِالْجُلُوسِ،

وَأَعْرَتَنِي سَمْعَكَ وَأَنْتِبَاهَكَ».

فَقَالَ لَهَا:

«مَا أَشَوْقَنِي إِلَى تَعْرِفِ أَسْرَارِ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْغَازِ وَمُعَمِّيَاتِ!«.

### ٣ - حَدِيثُ «رَائِعَةَ»

فَأَنْشَأَتِ الْفَتَاةُ تَقُولُ:

«تَسْأَلُنِي مَنْ أَكُونُ؟ وَكَيْفَ عَرَفْتُ اسْمَكَ، وَتَرَفَّقْتُ قُدُومَكَ؟  
وَمَا سِرُّ هَذِهِ الْمَدِينَةِ؟ وَلِمَاذَا مُسِخَ أَهْلُهَا وَبَقِيَتْ وَحْدِي نَاجِيَةً  
مِنَ السَّحْرِ؟»

فَاعْلَمْ - يَا سَيِّدِي الْأَمِيرَ الْجَلِيلَ - أَنَّنِي «رَائِعَةُ» بِنْتُ مَلِكِ هَذِهِ  
الْمَدِينَةِ، وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَ أَبِي وَهُوَ جَالِسٌ فِي صَدْرِ دِيْوَانِهِ، وَأَنْتَ  
سَائِرٌ فِي طَرِيقِكَ إِلَيَّ، وَقَدْ كَانَ ذَائِعَ الصَّيْتِ بَيْنَ مُلُوكِ «الْهِنْدِ».  
وَكَانَ لَنَا جَارٌ اسْمُهُ «مَرْمُوشٌ» يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ. فَمَرَّ بِحَاضِرَةِ مُلْكِهِ  
- ذَاتَ يَوْمٍ - نَاسِكٌ مِنْ كِبَارِ النُّسَاكِ الْمَعْرُوفِينَ بِالْقِنَاعَةِ وَالزُّهْدِ،  
وَرَجَاحَةِ الْعَقْلِ وَسَعَةِ الْعِلْمِ، فَلَمْ يُقَصِّرْ فِي إِرْشَادِ النَّاسِ وَتَنْوِيرِ  
بَصَائِرِهِمْ، وَلَمْ يَأَلْ جُهْدًا فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ،  
وَتَنْفِيرِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ لَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا.  
فَالْتَفَّ حَوْلَهُ النَّاسُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْمُرِيدُونَ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ عُرِفَ  
أَمْرُهُ، وَذَاعَ صَيْتُهُ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى سَمْعِ الْمَلِكِ، فَأَمَرَ بِاسْتِدْعَائِهِ  
إِلَيْهِ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، سَأَلَهُ عَمَّا نَمَى إِلَيْهِ. فَلَمْ يَكْتُمْهُ النَّاسِكُ

شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَتَلَطَّفُ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَالْإِقْلَاعِ  
عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.

فَغَضِبَ الْمَلِكُ مِمَّا سَمِعَ، وَتَعَجَّبَ مِنْ جُرْأَةِ النَّاسِكِ، وَتَوَعَّدَهُ  
بِالْعِقَابِ إِذَا لَمْ يَكْفُفْ عَنْ هَذَايَنِهِ، وَيُقْلِعَ عَنْ عِنَادِهِ. فَلَمْ يَسْتَجِبِ  
النَّاسِكُ لِرُوعِيدِهِ، وَلَمْ يُبَالِ بِتَهْدِيدِهِ.

فَاشْتَدَّ غَضَبُ «مَرْمُوشٍ» عَلَيْهِ، وَأَمَرَ بِسُجْنِهِ، وَإِعْدَادِ الْعُدَّةِ  
لِإِحْرَاقِهِ حَيًّا! وَهَيَّا لَهُ نَارًا جَاحِمَةً وَسَطَ الْمَيْدَانِ الْكَبِيرِ، لِيَشْهَدَ  
النَّاسُ جَزَاءَهُ عَلَى مَا أَبْدَاهُ مِنْ صِدْقِهِ وَإِخْلَاصِهِ فِي دَعْوَتِهِ. وَذَاعَتْ  
قِصَّةُ النَّاسِكِ فِي أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِيَرَوْا مَصْرَعَهُ.  
فَلَمَّا سُعِرَتِ النَّارُ وَتَهَيَّأَ الْجُنْدُ، وَاسْتَعَدُّوا لِلِاقْتِاعِ النَّاسِكِ فِي أَثْنِهَا  
الْمُلْتَهَبِ، غَامَتِ السَّمَاءُ فَجَاءَةً، وَبَرَقَ الْبَرْقُ، وَجَلَجَلَ الرَّعْدُ، ثُمَّ  
هَمَّتِ الْأَمْطَارُ سَيُولًا، فَأَطْفَأَتِ النَّارَ، وَسَادَ الْهَرَجُ وَالْمَرْجُ، وَتَدَافَعَ  
النَّاسُ إِلَى بُيُوتِهِمْ حَتَّى لَا تُغْرِقَهُمُ السُّيُولُ الْمُتَدَفِّقَةُ. وَهَكَذَا أُتِيحَتْ  
الْفُرْصَةُ لِلنَّاسِكِ الصَّالِحِ فَأَمَكَّتَهُ مِنَ الْفِرَارِ.

وَبَعْدَ سَاعَاتٍ صَحَا الْجَوُّ وَانْقَشَعَ الْمَطَرُ، وَبَحَثَ الْجُنُودُ عَنِ  
النَّاسِكِ، فَلَمْ يَعْثُرُوا لَهُ عَلَى أَثَرٍ. وَمَشَى النَّاسِكُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى بِلَادِ  
«التُّبَّتِ» يُوَاصِلُ السَّيْرَ لَيْلَ نَهَارٍ حَتَّى بَلَغَ مَدِينَتَنَا. وَكَانَ أَبِي يَسْمَعُ

بِصَلَاحِهِ، وَيَعْجَبُ بِتَقْوَاهُ. فَلَمَّا أَفْضَى إِلَى أَبِي بِقِصَّتِهِ، اسْتَقْبَلَهُ  
أَحْسَنَ اسْتِقْبَالٍ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ. فَلَبِثَ النَّاسِكُ عِنْدَنَا أَيَّامًا  
قَلِيلًا، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ أَبِي فِي اسْتِنَافِ السَّفَرِ عَائِدًا إِلَى بَلَدِهِ.

فَتَشَبَّثَ بِهِ أَبِي، وَالْحَّحَّ عَلَيْهِ فِي الْبَقَاءِ عِنْدَهُ، فَتَلَطَّفَ النَّاسِكُ فِي  
الاعْتِدَارِ إِلَيْهِ، وَمَا زَالَ يُلْحِفُ فِي الرَّجَاءِ، حَتَّى أَذِنَ لَهُ أَبِي فِي السَّفَرِ  
عَلَى كُرْهِ مِنْهُ. وَكَأَنَّمَا خَشِيَ النَّاسِكُ أَنْ تَهْتَدِيَ إِلَى مَكَانِهِ عِيُونُ  
الْمَلِكِ «مَرْمُوشٍ»، فَيَشْتَبِكَ كِلَاهُمَا فِي حَرْبٍ طَاحِنَةٍ مِنْ جَرَائِهِ.  
وَقَدْ تَحَقَّقَ مَا خَشِيَهُ النَّاسِكُ. فَلَمْ يَنْقُضِ عَلَى سَفَرِهِ زَمَنٌ قَلِيلٌ  
حَتَّى وَفَدَ عَلَى أَبِي رَسُولٌ مِنْ «مَرْمُوشٍ» عَابِدِ الْأَصْنَامِ، يَتَوَعَّدُهُ  
فِيهِ بِالْحَرْبِ إِذَا لَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِ النَّاسِكُ الَّذِي حَلَّ بِمَدِينَتِهِ ضَيْفًا!  
وَعَضِبَ أَبِي مِنْ جُرْأَةِ جَارِهِ، وَطَرَدَ رَسُولَهُ شَرَّ طَرْدَةٍ بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُ  
أَنْ يُخْبَرَ مَلِيكَهُ أَنَّ النَّاسِكَ قَدْ سَافَرَ مُنْذُ أَيَّامٍ، وَأَنَّهُ لَوْ بَقِيَ عِنْدَهُ لَمَا  
قَبِلَ أَنْ يُسَلِّمَهُ إِلَيْهِ.

وَكَانَ أَبِي يَعْرِفُ قُوَّةَ «مَرْمُوشٍ» وَشِدَّةَ بَأْسِهِ. فَأَعَدَّ لِلِقَائِهِ عُدَّتَهُ،  
وَحَصَّنَ مَدِينَتَهُ، وَغَلَقَ أَبْوَابَهَا الْعَالِيَةَ، وَأَعَدَّ الْعُدَّةَ لِرَدِّ عُدْوَانِ  
الْغُرَاةِ. وَذَا صَبَاحٍ، سَمِعْتُ صَوْتَ بُوقٍ عَالِيًا يُدَوِّي فِي الْفُضَاءِ،  
فَيَكَادُ يُصِمُّ الْأَذَانَ.

فَخِيْلَ إِلَى- لِهَوْلٍ مَا سَمِعْتُ- أَنْ آخِرَةَ الْعَالَمِ قَدْ حَانَتْ! وَخَرَجْتُ  
أَمْشِي فِي أَنْحَاءِ الْقَصْرِ هَائِمَةً؛ فَوَجَدْتُ كُلَّ مَنْ رَأَيْتُ- مِنْ وَصَائِفَ  
وَوَصِيفَاتٍ، وَنِسَاءٍ وَفَتَيَاتٍ- تَمَائِيلَ صُمَّا مِنَ النُّحَاسِ! فَأَسْرَعْتُ  
إِلَى دِيْوَانِ أَبِي أَسْتَجْلِي الْخَبَرَ، فَرَأَيْتُهُ جَالِسًا مَعَ حَاشِيَّتِهِ وَسِرَاةِ  
مَمْلَكَتِهِ، وَكُلَّهُمْ تَمَائِيلُ نُحَاسِيَّةٌ! وَأَنْدَفَعْتُ فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ  
وَأَسْوَأِقِهَا، فَلَمْ تَقَعْ عَيْنَايَ إِلَّا عَلَى تَمَائِيلِ نُحَاسِيَّةٍ!!

وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَ مِصْدَاقَ مَا أَقُولُ، وَشَهَدْتَ بَعَيْنِكَ، وَأَبْصَرْتَ  
بِنَظْرِكَ كَيْفَ تَحَوَّلَتِ الْكِلَابُ وَالْقِطَطَةُ وَالْجِرْدَانُ وَالطُّيُورُ تَمَائِيلَ  
صُمَّا لَا تَسْمَعُ وَلَا تَتَحَرَّكُ!

وَقَضَيْتُ يَوْمًا رَاعِبًا، وَكَلِيلَةً سَاهِرَةً لِهَوْلٍ مَا رَأَيْتُ. ثُمَّ غَلَبَنِي  
النَّوْمُ لِطُولِ مَا كَابَدْتُ مِنَ الضَّنَى وَالسَّهَرِ، فَرَأَيْتُ النَّاسِكَ يَزُورُنِي  
فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ، وَيُرَبِّتُ كَتْفِي مُتَلَطِّفًا، وَيَقُولُ لِي مُبْتَسِمًا:

«لَا تَخَافِي يَا «رَائِعَةٌ» وَلَا تَحْزَنِي، فَلَنْ يُصِيبِكَ سُوءٌ إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ. وَسَيَكُونُ خَلَاصُكَ وَخَلَاصُ كُلِّ مَنْ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى يَدِ رَجُلٍ  
صَالِحٍ شُجَاعٍ، اسْمُهُ الْأَمِيرُ «إِقْبَالُ» وَسَيَشْتَرِكُ مَعَهُ أَخُوكَ الْأَمِيرُ  
«فَاضِلُ» فِي كَشْفِ الْغَمَّةِ وَزَوَالِ السَّحْرِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَسَاكِنِيهَا.  
فَاصْبِرِي عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، وَلَا تَخْشَى أَنْ تَهْلِكِي جُوعًا؛ فَقَدْ  
بَقِيَتْ لَكَ مِنْ بَيْنِ أَشْجَارِ الْحَدِيقَةِ شَجَرَتَا تَيْنٍ وَتُقَاحٍ، لَمْ تُمَسَّ  
بِسُوءٍ. فَكُلِّي مِنْهُمَا كُلَّمَا جُعْتِ، وَاشْرَبِي مِنَ النَّبْعِ الصَّافِي الَّذِي

يَسْتَقِيهِمَا، وَاشْكُرِي اللَّهَ عَلَى مَا هَيَّا لَكَ مِنْ سَلَامَةٍ وَفَوْزٍ بِالسَّعَادَةِ،  
وَأَتَّجِهِ إِلَيْهِ، وَأَخْلِصِي فِي عِبَادَتِهِ».

وَكَانَ فِي قَصْرِنَا مَكْتَبَةٌ حَافِلَةٌ بِنَفَائِسِ الْمَخْطُوطَاتِ، فَأَسْرَعْتُ  
إِلَيْهَا - وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَكُونَ الْمِحْنَةُ قَدْ أَصَابَتْهَا - فَوَجَدْتُهَا كَمَا هِيَ،  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. فَكَانَ لِي فِي الْقِرَاءَةِ خَيْرٌ عَزَاءً».

فَلَمَّا سَمِعَ الْأَمِيرُ «إِقْبَالَ» حَدِيثِ الْأَمِيرَةِ اشْتَدَّ بِهِ الْعَجَبُ،  
وَسَأَلَهَا مُتَحِيرًا:

«وَكَيْفَ نَجَوْتِ وَحَدَكِ مِنْ سِحْرِ السَّاحِرِ، فَلَمْ تَتَحَوَّلِي تِمَثَالًا مِنَ  
النُّحَاسِ، كَمَا تَحَوَّلَ مَنْ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ طَيْرٍ وَحَيَوَانٍ وَنَاسٍ؟».

## ٤ - فَتَاةُ الْجِنِّ

فَقَالَتِ الْفَتَاةُ:

«لِذَلِكَ نَبَأٌ عَجِيبٌ، أَنَا أَقْضُهُ عَلَى سَيِّدِي: بَيْنَا كَانَتْ أُمِّي تَسِيرُ ذَاتَ  
يَوْمٍ فِي أَحَدِ الْمُرُوجِ الْمُحِيطَةِ بِقَصْرِنَا الرَّيْفِيِّ؛ إِذْ رَأَتْ عَلَى مَسَافَةٍ  
قَرِيبَةٍ مِنْهَا حَيَّةً بَيْضَاءَ، تَجِدُّ مُسْرِعَةً فِي الْهَرَبِ، وَخَلْفَهَا تُعْبَانٌ أَسْوَدٌ  
يَجْرِي فِي أَثَرِهَا مُسْرِعًا فِي الطَّلَبِ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُدْرِكَهَا وَيُمْسِكُ  
بِرَأْسِهَا، وَيَلْفَ ذَيْلَهُ عَلَى ذَيْلِهَا، وَيُوشِكُ أَنْ يَفْتِكَ بِهَا».

فَأَسْرَعَتْ أُمِّي إِلَى نَجْدَةِ الْحَيَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَقَذَفَتِ الثُّعْبَانَ بِحَجَرٍ  
كَبِيرٍ؛ فَحَطَّمَتْ رَأْسَهُ وَقَتَلَتْهُ عَلَى الْفُورِ. وَمَا كَانَ أَشَدَّ دَهْشَتَهَا حِينَ  
رَأَتْ الثُّعْبَانَ الْأَسْوَدَ يَتَحَوَّلُ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي مِثْلِ لَمَحِ الْبَصْرِ كَوْمَةً  
مِنْ رَمَادٍ، وَتَتَفَضُّ الْحَيَّةُ الْبَيْضَاءُ، فَإِذَا هِيَ فَتَاةٌ رَائِعَةٌ الْجَمَالِ، فِي  
رَيْعَانِ صِبَاهَا، وَمُقْتَبِلِ شَبَابِهَا، ثُمَّ تَقُولُ لِأُمِّي شَاكِرَةً:

«هَيْهَاتَ أَنْ يَضِيعَ عِنْدِي، يَا مَلِيكَةَ الْإِنْسِ، مَا أَسَدَيْتِ إِلَيَّ مِنْ  
مَعْرُوفٍ! وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ أَنَّكَ أَنْقَذْتِنِي مِنْ عَدُوِّي اللَّدُودِ بَعْدَ أَنْ  
أَوْشَكَ أَنْ يُهْلِكَنِي. وَلَعَلَّ اللَّهَ يُقَدِّرُنِي عَلَى رَدِّ الْجَمِيلِ إِلَيْكَ فِي يَوْمٍ  
مِنَ الْأَيَّامِ».

ثُمَّ أَشَارَتْ فَتَاةُ الْجِنِّ بِيَدِهَا، فَاَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ، وَسُرَّعَانَ مَا  
غَاصَتْ فِيهَا وَاسْتَخَفَّتْ عَنِ الْأَنْظَارِ، وَعَادَتِ الْأَرْضُ كَمَا كَانَتْ.

## ٥. هَدِيَّةُ الْجِنِّيَّةِ

وَمَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْحَادِثِ أَعْوَامٌ، ثُمَّ حَضَرَتْ فَتَاةُ الْجِنِّ إِلَى أُمِّي  
يَوْمَ وَلَدَتْ أُخِي «فَاضِلًا»، وَأَهْدَتْ إِلَيَّ أُمِّي قَارُورَةً صَغِيرَةً مَلَأَتْهَا  
مِنْ نَهْرِ «عَبْقَرٍ»، وَأَوْصَتْهَا أَنْ تَمْزُجَ بِلَبْنِهَا قَطْرَاتٍ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ  
تَسْقِي وَلِيدَهَا هَذَا الْمِرْاجَ، فَلَنْ تَفْرُغَ الزُّجَاجَةُ حَتَّى يُصْبِحَ الْوَلِيدُ  
أَمِنًا مِنْ سِحْرِ كُلِّ سَاحِرٍ، وَكَيْدِ كُلِّ كَائِدٍ.

فَشَكَرَتْ لَهَا أُمِّي هَدِيَّتَهَا، وَاتَّبَعَتْ نَصِيحَتَهَا.

ثُمَّ جَاءَتْ فَتَاةُ الْجِنِّ - يَوْمَ وَلَدْتَنِي أُمِّي - فَأَحْضَرَتْ لَهَا مِثْلَ  
الْقَارُورَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي أَحْضَرْتَهَا يَوْمَ وُلِدَ أَخِي، وَأَوْصَتْهَا أَنْ  
تَسْقِينِي مِنْهَا، كَمَا سَقَتْ أَخِي مِنْ قَبْلُ.

وَقَدْ صَدَقَتْ فَتَاةُ الْجِنِّ فِيمَا قَالَتْ؛ فَقَدْ مَسَخَ كُلُّ مَنْ فِي الْمَدِينَةِ  
مِنْ إِنْسَانٍ، وَطَيْرٍ وَحَيَّوَانٍ، وَنَجْوَتْ وَحَدَى مِنَ الْمَسْخِ؛ بِفَضْلِ مَا  
شَرِبْتُ مِنْ مَاءِ «عَبْقَر».

وَمَا إِنْ أَتَمَّتِ الْأَمِيرَةُ حَدِيثَهَا حَتَّى أَقْبَلَ شَابٌّ بَادِيَ الْقُوَّةِ، لَمْ  
يَشْكُ الْأَمِيرُ حِينَ رَأَاهُ أَنَّهُ شَقِيقُ الْفَتَاةِ.



## الفصل الخامس

### ١ - شقيق الأميرة

وَابْتَدَرَهُمَا الْفَتَى مُحِيًّا فِي ابْتِسَامٍ، وَأَدَبٍ وَاحْتِرَامٍ، مُرَحَّبًا بِالْأَمِيرِ  
«إِقْبَالَ»، مُهَنَّئًا شَقِيقَتَهُ عَلَى زِيَارَةِ الضَّيْفِ الْعَظِيمِ.

فَتَعَجَّبَ الْأَمِيرَانِ مِمَّا رَأَيَا وَسَمِعَا، وَسَأَلَاهُ:

«كَيْفَ عَرَفْتَ اسْمَ الْأَمِيرِ؟ وَمَنْ أَنْبَأَكَ بِقُدُومِهِ؟».

فَقَالَ لَهُمَا:

«لَقَدْ عَرَفْتُ الْكَثِيرَ مِنْ أَخْبَارِهِ، وَبَقِيَ أَنْ تَعْرِفَا طَرَفًا مِنْ أَخْبَارِي!».

فَقَالَ الْأَمِيرَانِ:

«مَا أَشَوْقَنَا إِلَى حَدِيثِكَ!».

فَقَالَ الْأَمِيرُ:

«لَقَدْ أَبْحَرْتُ - كَمَا تَعْلَمُ أُخْتِي الْعَزِيزَةُ - فِي نُخْبَةٍ مِنْ أَصْحَابِي

لِزِيَارَةِ عَمِّي تَلِيَّةً لِدَعْوَتِهِ الْكَرِيمَةِ، وَاشْتَرَكْتُ مَعَهُ فِي الْاِحْتِفَالِ

بِزَوْاجِ ابْنَتِهِ. وَكَانَتِ الرَّحْلَةُ سَعِيدَةً مُوَفَّقَةً، وَأَقَمْنَا فِي ضِيَاغَتِهِ، وَكُنَّا

كُلَّمَا هَمَمْنَا بِالْعُودَةِ شَدَّدَ عَلَيْنَا فِي الْبَقَاءِ، فَلَبِثْنَا فِي ضِيَاغَتِهِ أَكْثَرَ مِنْ  
 عَامٍ. ثُمَّ أَذِنَ لَنَا بِالسَّفَرِ عَلَى كُرْهِ مِنْهُ، وَزَوَّدَنَا بِمَا مَلَأَ سَفِينَتَنَا مِنْ  
 هَدَايَاهُ. وَأَوْدَعَنَا تَحِيَّةً لَكَ وَلِأَبِينَا وَشَعْبِهِ الْكَرِيمِ. ثُمَّ قَفَلْنَا عَائِدِينَ،  
 فَقَضَيْنَا عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي جَوْ طَيْبٍ وَرِيحٍ مُعْتَدِلَةٍ. فَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الثَّلَاثَ  
 عَشَرَ تَغَيَّرَتِ الرِّيحُ فَجَاءَتْ، وَهَبَّتِ الْعَاصِفَةُ شَدِيدَةً عَاتِيَةً تُنذِرُنَا  
 بِالْغَرَقِ بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى. فَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ دَبَّ الْيَأْسُ إِلَى نُفُوسِنَا،  
 فَتَرَكْنَا السَّفِينَةَ تَحْتَ رَحْمَةِ الرِّيحِ الْهُوجِ، وَالْأَمْوَاجِ الثَّائِرَةِ. وَلَا  
 تَسْأَلَا - أَيُّهَا الْعَزِيزَانِ - عَنْ دَهْشَتِنَا حِينَ كُتِبَتِ السَّلَامَةُ لِسَفِينَتِنَا.  
 وَمَا نَدْرِي بِأَيَّةِ مُعْجَزَةٍ نَجَوْنَا مِنَ الْغَرَقِ، فَبَلَّغْنَا الْبَرَّ آمِنِينَ.

## ٢ - نَصِيحَةُ الْمَلَّاحِ

وَمَا إِنْ حَلَلْنَا بِالسَّاحِلِ، حَتَّى بَدَأَ لَنَا الْمَكَانُ مُقْفِرًا لَا أُنَيْسَ بِهِ  
 وَلَا دِيَّارَ. فَمَشِينَا نَرْتَادُ الْجَزِيرَةَ حَتَّى بَلَّغْنَا غَابَةَ كَثِيفَةً. وَكَانَ مَعَنَا  
 مَلَّاحٌ هَرِمٌ تَعَوَّدَ السَّفَرَ كَثِيرًا إِلَى شَوَاطِئِ الْهِنْدِ مِنْذُ حَدَاثَتِهِ، فَحَذَّرَنَا  
 مِنَ الْبَقَاءِ، وَنَصَحَنَا بِالِإِسْرَاعِ فِي تَرْكِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْمُوَحِشَةِ،  
 وَحَدَّثَنَا أَنَّ سُكَّانَهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْهَمَجِ يَعْبُدُونَ تُعْبَانًا هَائِلَ الْحَجْمِ؛

وَقَدْ تَعَوَّدُوا أَنْ يُقَدِّمُوا لَهُ كُلَّ مَنْ يُوقِعُهُ سُوءَ الْحَظِّ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ  
الْغُرَبَاءِ، فَيَلْتَهُمْ طَعَامًا سَائِغًا شَهِيًّا.

وَقَدْ نَصَحْنَا الْمَلَّاحَ الْمُجَرَّبُ أَنْ نَعَجَلَ بِتَرْكِ الْجَزِيرَةِ الرَّاعِبَةِ  
قَبْلَ أَنْ يُقَدِّمَنَا أَهْلَهَا قُرْبَانًا لِمَعْبُودِهِمُ الثُّعْبَانَ.

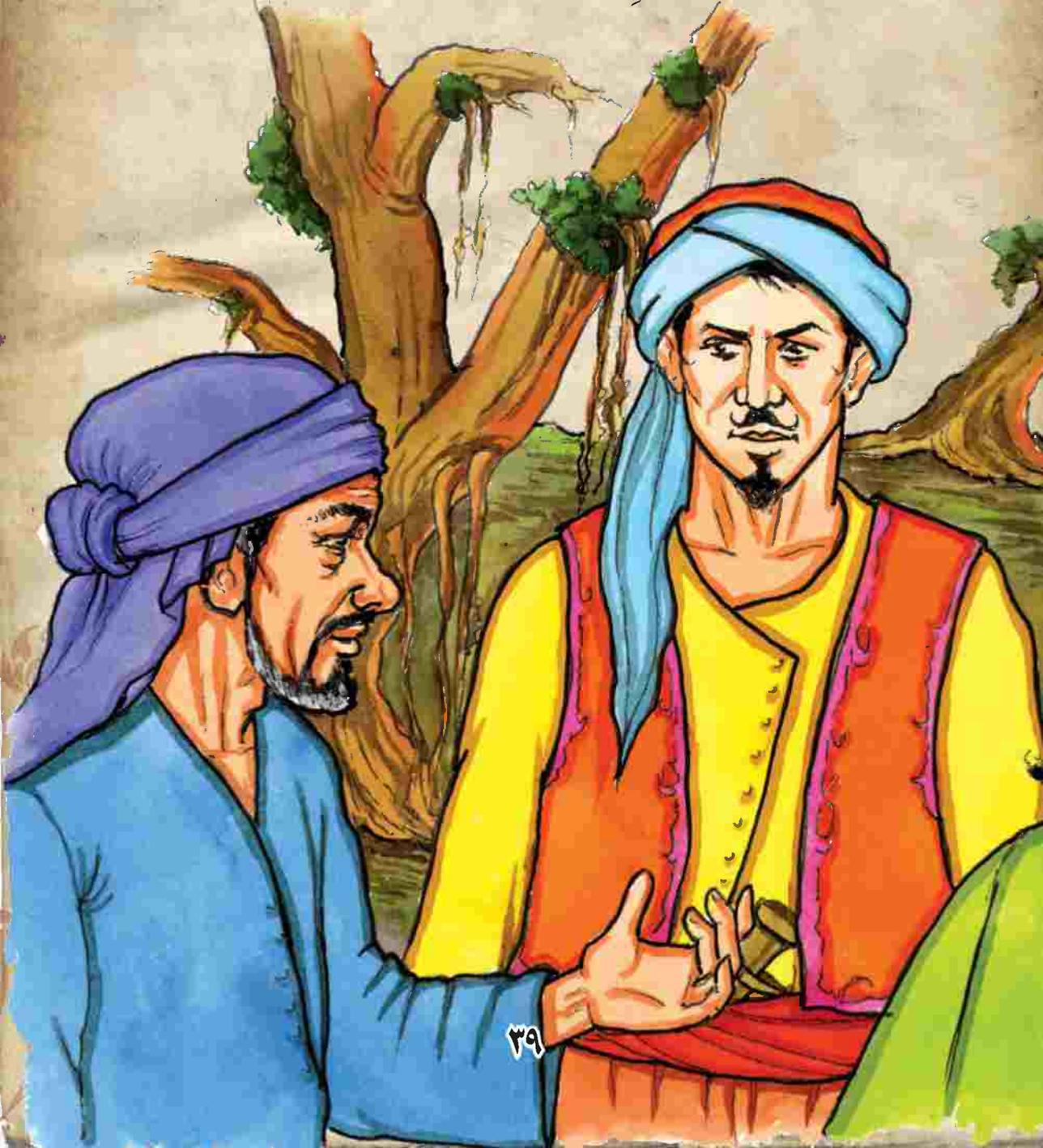
وَلَمَّا كَانَ «كَاشِفٌ»: رَبَّانٌ سَفِينَتَانِ يَثِقُ بِذَلِكَ الْمَلَّاحِ، وَلَا يَشُكُّ فِي  
خَبْرَتِهِ وَدُرْبَتِهِ، وَصَدَقَ مَعْرِفَتِهِ بِمَسَالِكِ الْبِحَارِ،  
لَمْ يَتَرَدَّدْ فِي قَبُولِ نُصْحِهِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ السَّيْرَ  
فِي صَبَاحِ غَدٍ.

وَكَانَ نِعَمَ الرَّأْيِ لَوْ سَافَرْنَا فِي الْحَالِ، وَلَمْ  
نُؤَجِّلِ الرَّحِيلَ إِلَى الصَّبَاحِ. إِذَنْ لَسَلِمَتْ  
سَفِينَتُنَا، وَنَجَا رَاكِبُوهَا. وَلَكِنْ لَا حِيلَةَ  
لِأَحَدٍ فِي رَدِّ عَادِيَةِ الْقَضَاءِ.

### ٣. سُلْطَانُ الْهَمَجِ

وَخَرَجْتُ أَرْتَادُ الْجَزِيرَةَ فِي فَجْرِ الْيَوْمِ  
التَّالِي، فَرَأَيْتُ زَنْجِيَّةً مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ،

وَمَا إِنْ وَقَعَتْ عَلَى عَيْنَاهَا حَتَّى أَسْرَعَتْ بِالْفِرَارِ. فَلَمْ أُعْرِهَا انْتِبَاهًا،  
وَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي، وَلَبِثْتُ أَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ،  
رَيْثَمَا أَعَدَدْنَا الْعُدَّةَ لِلسَّفَرِ.



وَكَادَ يَتَمُّ لَنَا مَا أَرَدْنَا لَوْ لَمْ يَدْهَمْنَا أَهْلُ الْجَزِيرَةِ وَيُحِيطُوا بِنَا  
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَيُقَيِّدُونَا بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ. وَقَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَيَّ  
سَفِينَتَنَا عَنُودًا، وَانْتَهَبُوا كُلَّ مَا تَحْوِيهِ مِنْ هَدَايَا وَطُرْفٍ.

وَحَمَلْنَا الْهَمَجُ إِلَى سُلْطَانِ الْجَزِيرَةِ أُسْرَى، فَشَهِدْنَا يُؤْتَهُمْ أَشْبَهُ  
بِالْأَكْوَاخِ وَالْأَعْشَاشِ مِنْهَا بِالْيُيُوتِ. وَرَأَيْنَا سُلْطَانَهُمْ «هِمَلَاجَةً»،  
وَهَذَا هُوَ اسْمُهُ، مُسْتَوِيًّا عَلَى عَرْشٍ مَبْنِيٍّ بِالْحِجَارَةِ، مُزْخَرَفٍ  
بِالْأَصْدَافِ، وَهُوَ عِمْلَاقٌ فَارِعُ الطُّولِ، ضَخْمُ الْجُثَّةِ، مَدِيدُ الْقَامَةِ،  
عَظِيمُ الْهَامَةِ، بَشِعُ الْمَنْظَرِ، دَمِيمُ السَّحْنَةِ، أَشْبَهُ بِشَيْطَانٍ مِنْهُ بِإِنْسَانٍ.  
وَكَانَتْ بِنْتُهُ الْأَمِيرَةُ «هُسْنَارًا»، وَهِيَ أَقْبَحُ مِنْ أَبِيهَا سَحْنَةً، وَأَضْخَمُ  
مِنْهُ جُثَّةً، جَالِسَةً بِجَانِبِهِ، وَلَمْ تَكُنْ تَزِيدُ عَلَى الثَّلَاثِينَ مِنْ عُمْرِهَا.  
وَقَدْ اضْطَرَّرْنَا وَزِيرُ الْهَمَجِ، حِينَ مَثَلْنَا بَيْنَ يَدَيْ سُلْطَانِهِ، أَنْ نَقْدَمَ  
وَإِفْرَ الْإِحْتِرَامِ.

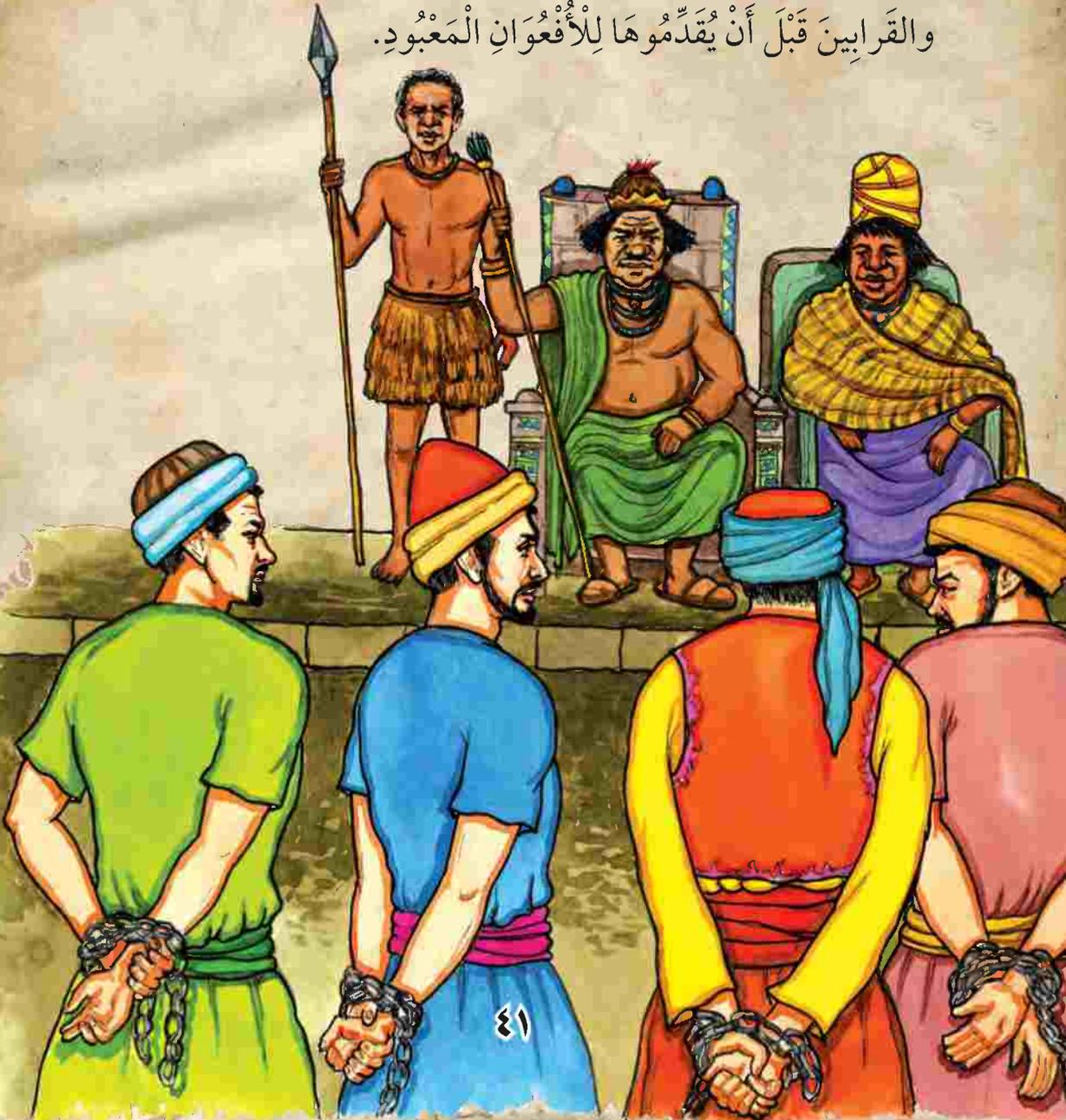
ثُمَّ قَصَّ الْوَزِيرُ عَلَى السُّلْطَانِ وَبِنْتِهِ كَيْفَ عَثَرَتِ الْجَارِيَةُ عَلَيْنَا،  
وَاهْتَدَتْ إِلَيْنَا.

## ٤ - طَعَامُ الثُّعْبَانِ

فَابْتَهَجَ السُّلْطَانُ، وَشَكَرَ لَوْزِيرِهِ وَجَارِيَتِهِ وَأَعْوَانِهِ، مَا وَفَّقُوا إِلَيْهِ  
مِنْ صَيْدِ ثَمِينٍ.

ثُمَّ أَمَرَ بِحَبْسِنَا فِي مَغَارَةِ الْأَسْرَى لِيُقَدَّمَ وَاحِدٌ مِنَّا فِي صَبَاحِ كُلِّ  
يَوْمٍ قَرْبَانًا لِمَعْبُودِهِمُ الْأَفْعَوَانِ الْعَظِيمِ.

فَأَطَاعَ الْوَزِيرُ أَمْرَ سُلْطَانِهِ، وَذَهَبَ بِنَا إِلَى الْمَغَارَةِ، حَيْثُ قَدَّمُوا  
لَنَا - وَفَقَّ تَقَالِيدِهِمْ - أَلْوَانًا مِنَ الطَّعَامِ، أَلْفُوا أَنْ يُسَمَّنُوا بِهَا الضَّحَايَا  
وَالْقَرَابِينَ قَبْلَ أَنْ يُقَدَّمُوا لِلْأَفْعَوَانِ الْمَعْبُودِ.



وَمَرَّتْ بِنَا الْأَيَّامُ ؛ يُقَدِّمُ - فِي كُلِّ يَوْمٍ - وَاحِدٌ بَعْدَ آخَرَ، وَيَتَنَاقَصُ  
عَدَدُنَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، حَتَّى هَلَكَ رُكَّابُ السَّفِينَةِ وَمَلَّاحُوهَا، وَلَمْ  
يَبْقَ مَعِيَ غَيْرُ «كَاشِفٍ» رُبَّانِ السَّفِينَةِ.

فَسَهَرْنَا لَيْلَتَنَا نَتَرَقُّبُ مَضْرَعَ أَحَدِنَا فِي صَبَاحِ غَدٍ كَمَا صُرِعَ  
أَصْحَابُنَا مِنْ قَبْلِنَا، وَنَتَنْظُرُ حُضُورَ الْعَمَلَاءِ لِيُفَرِّقَانَا إِلَى الْأَبَدِ.

## ٥ - وَدَاعُ الرُّبَّانِ

وَلَمَّا دَنَا الْمَوْعِدُ نَظَرْتُ إِلَى «كَاشِفٍ» مَحْزُونًا، وَقَالَ:  
«لَقَدْ فَقَدْنَا كُلَّ أَمَلٍ فِي النَّجَاةِ. وَاحْسَرَتَاهُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَيَّامِنَا فِي  
الْحَيَاةِ غَيْرُ يَوْمَيْنِ اثْنَيْنِ. وَلَيْسَ لِي أُمْنِيَّةٌ إِلَّا أَنْ يُقَدَّمَ يَوْمَ مَضْرَعِي  
عَلَى مَضْرَعِ سَيِّدِي الْأَمِيرِ؛ فَمَا أُطِيقُ أَنْ أَرَى مَوْلَايَ الْأَمِيرَ يُسَاقُ  
إِلَى الْمَوْتِ وَأَنَا عَاجِزٌ عَنْ نُصْرَتِهِ!».

فَقُلْتُ لـ «كَاشِفٍ» :

«مَا أَتَعَسَ حَظُّكَ أَيُّهَا الصَّدِيقُ الْعَزِيزُ! لَقَدْ بَدَلْتُ جُهْدِي فِي  
إِقْنَاعِكَ بِالْعُدُولِ عَنْ مُصَاحَبَتِي فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ. وَلَكِنَّ سُوءَ حَظِّكَ  
أَبَى إِلَّا أَنْ تُلْحَقَ فِي مُصَاحَبَتِي. وَلَوْ لَا الْخَافِكُ لَنَجَوْتَ مِنْ هَذَا  
الْمَضْرَعِ الْمُفْزَعِ!».

وَمَا إِنْ أَتَمَّمْتُ كَلَامِي، حَتَّى أَقْبَلَ الْعِمْلَاقَانَ، وَأَمْرَانِي أَنْ  
أَتَّبِعَهُمَا. فَلَمْ أَجْزَعْ لِدَلِّكَ، وَلَمْ أَتَهَيَّبْ هَذَا الْمَصِيرَ؛ فَقَدْ كُنْتُ  
أَتْرَقِبُهُ وَأَتَأَهَّبُ لَهُ؛ فَالْتَفَتُّ إِلَى الرَّبَّانِ أَوْدَعَهُ الْوَدَاعَ الْأَخِيرَ الْأَبْدِيَّ.  
فَاشْتَدَّ جَزَعُهُ عَلَيَّ، وَتَمَنَّى لَوْ قُدِّمَ قَبْلِي قُرْبَانًا لِلشُّعْبَانِ.

## ٦. أَمِيرَةُ الْهَمَجِ

ثُمَّ صَحِبَنِي الْعِمْلَاقَانِ إِلَى خَيْمَةٍ فَسِيحَةٍ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّي مُلَاقٍ  
فِيهَا مَعْبُودَهُمُ الْأَفْعُونَ، وَلَكِنْ حَدَّثَ مَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي حِسْبَانِ، فَقَدْ  
رَأَيْتُ امْرَأَةً مِنَ الْهَمَجِ تُقْبَلُ عَلَيَّ بِاسْمَةٍ، وَتَقُولُ لِي مُطْمَئِنَّةً:  
«لَا تَخَفْ - أَيُّهَا الْفَتَى - وَلَا تَحْزَنْ، فَلَنْ يُصِيبَكَ مَا أَصَابَ  
أَصْحَابَكَ. لَقَدْ كَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّكَ أَنْ مَوْلَاتِي الْأَمِيرَةَ «هُسْنَارًا»  
رَضِيَتْ عَنْكَ، وَادَّخَرَتْ لَكَ حَظًّا سَعِيدًا؛ فَهَنِيئًا لَكَ مَا ظَفَرْتَ بِهِ.  
وَلَنْ أَفْضِي إِلَيْكَ بِأَكْثَرِ مِمَّا قُلْتُ، فَإِنَّهَا سَتُفَاجِئُكَ بِمَا ادَّخَرْتَهُ لَكَ  
مِنْ سَعَادَةٍ.

وَلَا تَنْسَ أَنَّي مُسْتَشَارَةُ الْأَمِيرَةِ وَجَارِيَتُهَا الْمُخْتَارَةُ. وَقَدْ أَذِنْتُ  
لِي مُتَفَضِّلَةً فِي أَنْ أُتِيحَ لَكَ شَرَفَ الْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهَا. فَطَبَّ نَفْسًا،  
وَقَرَّ عَيْنًا؛ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهَا بَعْدَ لِحَظَاتٍ.

وَانصَرَفَ الخَادِمَانِ، وَأَمْسَكَتْ جَارِيَةٌ «هُسْنَارًا» بِيَدِي، وَقَادَتْنِي  
إِلَى مَخْدَعِ الأَمِيرَةِ، فَرَأَيْتُهَا تَجْلِسُ وَحَدَاها عَلَى إِحْدَى الأَرَائِكِ  
المُغَطَّةِ بِجُلُودِ النُّمُورِ وَالأُسُودِ وَالْفُهُودِ. وَرَأَيْتُ لَهَا وَجْهًا زَيْتُونِيَّ  
اللَّوْنِ، تَبْرُقُ فِيهِ عَيْنَانِ ضَيِّقَتَانِ، يَتَخَلَّلُهُمَا أَنْفٌ كَبِيرٌ أَفْطَسٌ، رُكِّبَ  
عَلَى شَفَتَيْنِ غَلِيظَتَيْنِ، تَنْطَبِقَانِ عَلَى فَمٍ وَاسِعٍ، وَتَنْفِرُ جَانِبَيْنِ عَنْ أَسْنَانِ  
كَبِيرَةِ الحَجْمِ، عُنْبَرِيَّةِ اللَّوْنِ.

وَيَعْلُو رَأْسُهَا شَعْرٌ قَصِيرٌ جَعْدٌ فِي مِثْلِ لَوْنِ الأَبْنُوسِ أَوْ هُوَ  
أَشَدُّ سَوَادًا مِنْهُ، وَفَوْقَهُ قَلَنْسُوءَةٌ صَفْرَاءُ مُطَّرَزَةٌ بِخَيْطِ أَحْمَرَ. وَفِي  
جِيدِهَا (رَقَبَتِهَا) عِقْدٌ مِنَ الخَرَزِ كَبِيرِ الحَجْمِ، يَزِينُهُ رِيشٌ مُخْتَلِفُ  
الألْوَانِ، بَعْضُهُ أَزْرَقُ، وَبَعْضُهُ أَصْفَرُ. وَقَدِ ارْتَدَّتْ ثَوْبًا ضَافِيًا مِنْ  
فِرَاءِ النُّمُورَةِ، يُغَطِّي جِسْمَهَا مِنْ كَتِفَيْهَا إِلَى قَدَمَيْهَا.

وَكَانَ مَنْظَرُ «هُسْنَارًا» يُذَكِّرُنِي - كَلَّمَا تَمَثَّلْتُهَا - بِصُورَةِ الشَّيْطَانِ  
كَمَا اتَّخَيْلُهُ، وَرَبِّمَا أَشْبَهَتِ القُرُودَ فِي سَمَاجَةِ هَيْئَتِهَا، وَإِنْ خَالَفَتْهَا  
فِي خِفَّتِهَا، وَرَشَاقَةِ حَرَكَتِهَا.

وَمَا إِنْ رَأَيْتَنِي حَتَّى ابْتَدَرْتَنِي قَائِلَةً:

«لَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الفَتَى. طِبُّ نَفْسًا، وَقَرَّ عَيْنًا؛ فَلَنْ تَلْقَى عِنْدِي  
إِلَّا خَيْرًا. تَعَالَ فَاجْلِسْ إِلَى جَانِبِي؛ لِأَسْمِعَكَ مَا أَعَدَدْتُه لَكَ مِنْ  
بُشْرِيَّاتٍ. لَقَدْ أَقْبَلْتَ عَلَيْكَ السَّعَادَةَ، فَيَسَّرْتُ لَكَ سَبِيلَ النِّجَاةِ مِنْ

الهِلَاكِ، وَالْخَلَاصِ مِمَّا لَقِيَهُ أَعْوَانِكَ مِنْ مَصَارِعِ السُّوءِ».

ثُمَّ صَمَتَتْ «هُسْنَارًا» قَلِيلًا، وَاسْتَأْنَفَتْ قَائِلَةً:

«حَسْبُكَ سَعَادَةٌ أَنَّنِي أُعْجِبْتُ بِمَا رَأَيْتُهُ مِنْ شَجَاعَتِكَ، وَرَبَاطَةِ

جَاسِكَ (ثَبَاتِ قَلْبِكَ)، وَاسْتِهَانَتِكَ بِالْمَوْتِ. فَعَزَمْتُ عَلَى مُكَافَأَتِكَ

عَلَى مَا تَمَيَّزْتَ بِهِ مِنْ خِلَالِ نَيْلَةٍ، وَشَمَائِلِ عَالِيَةٍ، وَضَاعَفْتُ لَكَ

الْجَزَاءَ، وَأَجَزَلْتُ الْعَطَاءَ، فَلَمْ أَقْتَصِرْ عَلَى إِنْقَاذِكَ مِنَ الْمَوْتِ، بَلِ

اخْتَرْتُكَ زَوْجًا: زَوْجًا لَوْلِيَّةِ الْعَهْدِ «هُسْنَارًا» أَمِيرَةَ الْبَحْرِ!

أَعْرِفْتَ أَيَّ مُفَاجَأَةٍ سَارَةٍ أَعَدَدْتُهَا لَكَ أَيُّهَا الْمَحْظُوظُ السَّعِيدُ؟!!

سَتُصْبِحُ سُلْطَانَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي. أَرَأَيْتَ كَيْفَ أَثَرْتُكَ

(فَضَّلْتُكَ) عَلَى صَفْوَةِ خَاصَّتِي، وَسِرَاةِ مَمْلَكَتِي؟».

## ٧. مَادِبَةُ الْهَرَّةِ

أَيُّ نَبِيٍّ هَائِلٍ سَكَتَ أُذُنِي بِهِ؟ بَلْ أَيُّ شَقَاءٍ أَعَدَّتْهُ لِي؟ إِنْ الْمَوْتَ

أَهَوْنٌ عَلَيَّ مِنْ هَذِهِ الْخَاتِمَةِ الْمُفْرَعَةِ. إِنْ بَدَنِي لَيَقْشَعِرُ كُلَّمَا طَافَتْ

بِرَأْسِي ذِكْرِيَاتُ ذَلِكَ الصَّبَاحِ الْمَشْهُومِ. وَسُرْعَانَ مَا تَمَثَّلْتُ تِلْكَ

الطَّرْفَةَ الَّتِي قَصَّهَا عَلَيْنَا مُعَلِّمُنَا وَنَحْنُ طِفْلَانِ». فَسَأَلَتْهُ أُخْتُهُ:

«أَيُّ طَرْفَةٍ تَعْنِي؟ فَمَا أَكْثَرَ مَا أَمْتَعْنَا بِهِ مُعَلِّمُنَا مِنْ طَرَائِفِ وَمُلَحِّ!».

فَقَالَ:

«أَلَا تَذَكِّرِينَ قِصَّةَ الْهَرَّةِ (الْقِطَّةِ) الَّتِي كَانَتْ سَيِّدَهَا يُكْرِمُهَا، وَيُوَالِي  
بِرَّهُ بِهَا، وَعَظْفُهُ عَلَيْهَا بِمَا يُقَدِّمُ لَهَا مِنْ دَجَاجٍ وَبَطِّ وَحَمَامٍ، وَمَا إِلَى  
ذَلِكَ مِنْ لَذِيذِ الطَّعَامِ. فَلَمْ تَجِدِي وَسِيلَةً لِشُكْرِهِ عَلَى مَا غَمَّرَهَا بِهِ  
مِنْ جَمِيلٍ إِلَّا أَنْ تُكَافِئَهُ بِفَأْرَةٍ اضْطَادَتْهَا؛ لِنِعْمِ بَضِيئَةِ الْهَرَّةِ كَمَا  
نِعِمْتَ بِضِيئَتِهِ. مَا أَشْبَهَ مَا صَنَعْتَهُ الْهَرَّةُ بِمَا صَنَعْتَ «هُسْنَارًا»!  
كِلْتَاهُمَا لَا تَعْرِفُ أَنَّ لَحْمَ الْفَيْرَانِ لَا يَصْلُحُ طَعَامًا لِلْإِنْسَانِ!

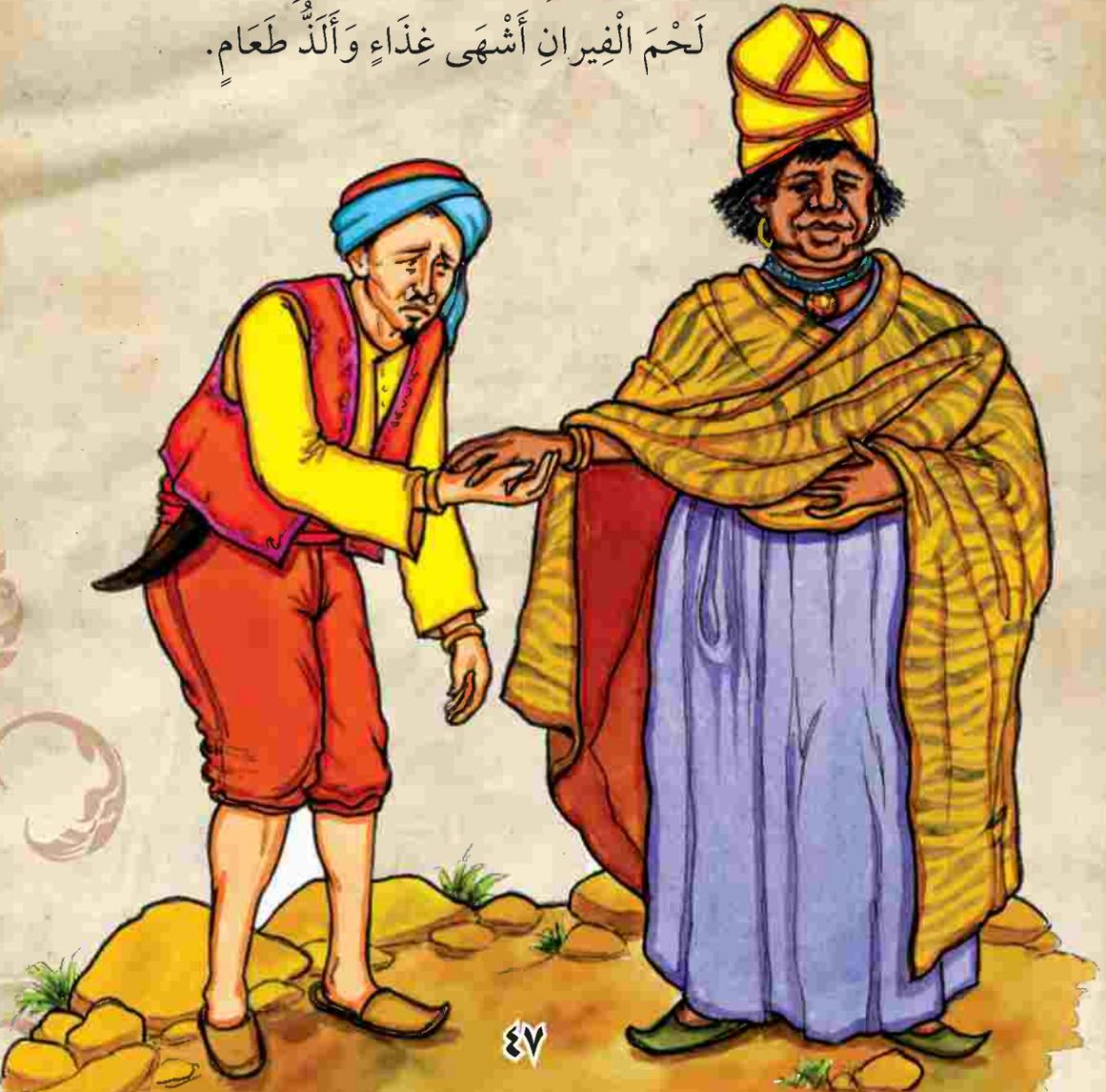
## ٨- غُرُورٌ «هُسْنَارًا»

وَكَانَ خَوْفِي مِنْ غَضَبِ هَذِهِ الْحَمَقَاءِ يَحُولُ دُونَ مُكَاشَفَتِهَا بِمَا  
مَلَأَ نَفْسِي مِنْ نُفُورٍ وَاحْتِقَارٍ، وَمَا أَفْعَمَ قَلْبِي مِنْ كَرَاهِيَّةٍ وَاشْمِئْزَازٍ.  
فَأَثَرْتُ الصَّمْتَ جَوَابًا. فَقَالَتْ «هُسْنَارًا»:

«مَا بِأَلْكَ صَامِتًا لَا تَنْطِقُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ؟ لَا رَيْبَ أَنَّ مَا فَاجَأْتِكَ  
بِهِ مِنْ سَعَادَةٍ لَا تَخْطُرُ بِالْبَالِ، قَدْ أَذْهَلَكَ وَعَقَدَ لِسَانَكَ مِنْ فَرْطِ  
السُّرُورِ! الْحَقُّ مَعَكَ؛ فَمَا كَانَ يَدُورُ بِخَلْدِكَ أَنْ يَقَعَ اخْتِيَارُ بِنْتِ  
سُلْطَانِ الْجَزِيرَةِ عَلَى أَسِيرٍ مِثْلِكَ، فَتُكْتَبَ لَهُ السَّلَامَةُ مِنْ مَضْرَعِ

وَخِيمٍ، وَيَتَبَدَّلُ شَقَاؤُهُ بِحَظٍّ عَظِيمٍ. إِنَّ صَمْتَكَ دَلِيلٌ إِخْلَاصِكَ  
وَاعْتِرَافِكَ بِمَا أَسَدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ جَمِيلٍ».

وَلَمَّا أَتَمَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، قَدَّمَتْ لِي إِحْدَى يَدَيْهَا، لِأَقْبَلَهَا،  
فَقَبَّلْتُهَا عَلَى مَضَضٍ. وَكَانَ اقْتِنَاعُهَا بِجَمَالِهَا، وَثِقَتُهَا بِأَنَّ كُلَّ مَنْ  
يَرَاهَا سَيُفْضِلُهَا عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِ قَاطِبَةً أَشْبَهَ بِاقْتِنَاعِ تِلْكَ الْهَرَّةِ بِأَنَّ  
لَحْمَ الْفَيْرَانِ أَشْهَى غِذَاءً وَأَلَذُّ طَعَامٍ.



وَقَدْ خَيَّلَ لَهَا غُرُورَهَا أَنْ مَا رَأَتْهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ أَمَارَاتِ الْحَيْرَةِ  
وَالسُّخْطِ وَالِاشْمِئْزَازِ، دَلِيلٌ نَاطِقٌ عَلَى فَرْطِ إِعْجَابِي بِحُسْنِهَا،  
وَافْتَتَانِي بِجَمَالِهَا. وَسُرْعَانَ مَا أَقْبَلْتُ جَارِيَتَانِ، وَفَرَشْتَا عَلَى الْأَرْضِ  
نَفَائِسَ مِنْ فِرَاءِ النُّمُورَةِ وَالسَّبَاعِ وَالْفُهُودِ. ثُمَّ جَاءَتْ جَوَارٍ ثَلَاثٌ  
بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا صِحَافٌ مَمْلُوءَةٌ بِشَرَائِحِ اللَّحْمِ الْمَغْمُورِ فِي الْعَسَلِ،  
وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ غَرِيبٍ مَا أَلْفُوهُ مِنْ أَلْوَانِ الْأَطْعَمَةِ.

ثُمَّ أَشَارَتِ الْأَمِيرَةُ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِسَ إِلَى جَانِبِهَا عَلَى فَرُورَةِ نَمِرٍ  
لَأَشْرَكَهَا فِي الطَّعَامِ. فَأَذَعَنْتُ لِأَمْرِهَا كَارِهًا، وَازْدَرَدْتُ لِقِيَمَاتِ.  
وَكَانَتِ الْأَمِيرَةُ تُشَجِّعُنِي عَلَى الْاِسْتِزَادَةِ مِنْ طَعَامِهَا، وَتَقُولُ لِي بَيْنَ  
حِينَ وَآخَرَ:

«مَاذَا بَكَ أَيُّهَا الْفَتَى؟ مَا بِأَلْكَ لَا تُقْبَلُ عَلَى الطَّعَامِ؟ لَا رَيْبَ أَنَّ  
مَا فَاجَأَتْكَ بِهِ مِنْ بُشْرِيَاتٍ قَدْ شَغَلَكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا  
مُتَعَجِّلاً تَحْقِيقَ وَعْدِي! الْحَقُّ مَعَكَ يَا فَتَى؛ فَخَيْرُ الْبِرِّ عَاجِلُهُ.  
هَأَنْذِي مُسْرِعَةً إِلَى مُقَابَلَةِ أَبِي لِأَرْجُوهُ أَنْ يَسْتَبْقَى لِي حَيَاتَكَ وَحَيَاةَ  
صَاحِبِكَ الَّذِي اخْتَارْتَهُ جَارِيَتِي الْوَفِيَّةَ «مَهْرَفِيَا» زَوْجًا لَهَا!».  
وَلَمَّا أَتَمَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَذْنْتُ لِي بِالْخُرُوجِ، وَقَالَتْ لِي وَهِيَ  
تُودِّعُنِي:

«عُدِّ إِلَى خَيْمَتِكَ أَيُّهَا الْفَتَى، وَنَبِيٌّ صَاحِبِكَ أَنَّ السَّعَادَةَ مُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَوْاجَهُ بِوَصِيْفَتِي الْمُخْتَارَةِ «مَهْرَفِيًّا» سَيِّمُ مَعَ زَوْاجِكَ بِي. عَجَّلْ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْبُشْرَى، وَاشْكُرِ الْحِظَّ السَّعِيدَ الَّذِي أَفْرَدَكُمَا مِنْ بَيْنِ إِخْوَانِكُمَا بِالنَّجَاةِ مِنَ الْهَلَاكِ، وَأَتَّاحَ لِكِلَيْكُمَا أَنْ تَنْعَمَا بِالسَّعَادَةِ الْكَامِلَةِ. طَيِّبَا نَفْسًا، وَقَرَّأْ عَيْنًا؛ فَإِنِّي مُحَقِّقَةٌ لَكُمَا رَجَاءَكُمَا، وَمُبْلَغَتُكُمَا أُمْنِيَّتُكُمَا، وَسَتَّعَشَّيَانِ مَعِيَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ حِينَ تَكْفُ شُعْلَةُ النَّهَارِ عَنْ إِضَاءَةِ الْجَزِيرَةِ السَّعِيدَةِ. وَلِيُبَارِكْ مَعْبُودُنَا الْأَفْعَوَانَ الْعَظِيمُ فِي حَيَاتِنَا الْمَدِيدَةِ!».»

فَتَظَاهَرَتْ بِشُكْرِ «هُسْنَارَا» أَمِيرَةِ الْهَمَجِ، عَلَى مَا أَسَدَتْهُ مِنْ فَضْلِ عَمِيمٍ، وَأَنَا أَلْعَنُهَا فِي نَفْسِي، وَأَفْضَلُ الْمَوْتَ عَلَى الزَّوْاجِ بِهَذِهِ الشَّيْطَانَةِ. ثُمَّ نَادَتْ الْأَمِيرَةَ بَعْضَ خَدَمِهَا لِيَذْهَبَ بِي إِلَى خَيْمَتِي.

## ٩. مُنَاقَشَةُ حَزِينَةَ

وَلَا تَسَلْ عَنْ فَرَحٍ «كَاشِفٍ» حِينَ رَأَيْتَ قَادِمًا عَلَيْهِ بَعْدَ يَأْسٍ مِنْ تَلَاقِنَا؛ فَقَدْ عَاوَدَهُ الْأَمَلُ فِي النَّجَاةِ بَعْدَ أَنْ يَسَسَ مِنَ الْحَيَاةِ؛ فَقَالَ:  
«مَا أَسْعَدَهَا مُفَاجَأَةٌ! وَافْرَحْتَاهُ! هَأَنْتَ ذَا - يَا أَمِيرِي الْعَزِيزَ - لَا

تَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ. فَهَلْ أَطْمَعُ فِي نَجَاتِكَ مِنَ الْأَفْعَوَانِ وَعَوْدَتِكَ  
إِلَى مَمْلَكَتِكَ؟!». .

فَقُلْتُ لَهُ مَحْزُونًا:

«لَقَدْ كُتِبَتْ لِي السَّلَامَةُ مِنَ الْهَلَاكِ، وَالنَّجَاةُ مِنَ الْخَاتِمَةِ الْفَاجِعَةِ  
الَّتِي انْتَهَتْ بِهَا حَيَاةُ رِفَاقِنَا الْأَعْرَاءِ. وَلَكِنْ...» .  
فَقَاطَعَنِي قَائِلًا:

«يَا لَهَا مِنْ مُفَاجَأَةٍ سَعِيدَةٍ! وَلَكِنْ خَبَّرَنِي: أَوَاطِقُ أَنْتَ مِمَّا تَقُولُ؟  
أَتَرَكَ نَجْوَتَ مِنَ الْأَفْعَوَانِ؟ حَبْدًا لَوْ صَدَقْتَ الْأَمَانِيَّ وَصَحَّتِ  
الْأَحْلَامُ!» .

فَأَجَبْتُهُ مُتَجَهِّمَ الْوَجْهِ عَابِسًا:

«لَيْتَكَ تُصْغِي إِلَى بَقِيَّةِ الْحَدِيثِ! قُلْتُ لَكَ: إِنَّنِي نَجَوْتُ مِنَ  
الْأَفْعَوَانِ، وَلَكِنَّ تَحْقِيقَ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ سَيُكَلِّفُنِي أَفْدَاحَ الْأَثْمَانِ.  
وَسَتَرَى كَيْفَ يَتَبَدَّلُ سُرُورُكَ حُزْنًا إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ فِقْدَانَ الْحَيَاةِ أَيْسَرُ  
مِنْ أَدَاءِ هَذَا الثَّمَنِ!» .

فَقَالَ لِي «كَاشِفٌ» مُتَعَجِّبًا:

«شَدَّ مَا غَلَوْتَ يَا سَيِّدِي الْأَمِيرَ وَأَسْرَفْتَ! وَهَلْ فِي الدُّنْيَا أَثْمَنُ  
مِنَ الْحَيَاةِ؟» .

فَقُلْتُ لَهُ:

«لَا تَعْجَلْ بِحُكْمِكَ».

وَقَصَّصْتُ عَلَيْهِ مَا فَاجَأْتَنِي بِهِ الْأَمِيرَةُ مِنْ رَغْبَةٍ فِي الزَّوْاجِ بِي.  
فَقَالَ لِي مُؤَسِّيًا:

«لَا رَيْبَ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ. وَلَكِنَّ الْحَيَاةَ جَمِيلَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ.  
وَعَزِيزٌ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَمُوتَ فِي مُقْتَبَلِ شَبَابِهِ، فَجَاهِدْ فِي التَّغْلِبِ  
عَلَى نَفْسِكَ، وَأَذْعِنْ لِحُكْمِ الضَّرُورَةِ. وَلَا تَنْسَ أَنَّ الْحَازِمَ هُوَ مَنْ  
يُوزَنُ بَيْنَ الْمُصِيبَتَيْنِ، فَيُخْتَارُ أَهْوَنُ الشَّرِّينِ!»  
فَصَحْتُ بِهِ قَائِلًا:

«أَيُّ نَصِيحَةٍ هَذِهِ الَّتِي تُقَدِّمُهَا لِي؟ هَلْ يَدُورُ بِخَلْدِكَ أَنَّي أَسْتَطِيعُ  
اتِّبَاعَهَا وَالْعَمَلَ بِهَا؟ سَنَرَى مَاذَا أَنْتَ صَانِعٌ. وَهَلْ سَتَتَّبِعُ الرَّأْيَ الَّذِي  
تُشِيرُ بِهِ عَلَيَّ، حِينَ تَعْلَمُ أَنَّ «مَهْرَفِيَا» وَصِيفَةَ «هُسْنَارَا» قَدْ اخْتَارَتْكَ  
زَوْجًا لَهَا، وَجَعَلَتْ ذَلِكَ ثَمَنًا لِخَلَاصِكَ مِنَ الْهَلَاكِ. فَمَاذَا أَنْتَ  
قَائِلٌ؟ لَقَدْ اخْتَارَتْكَ وَهِيَ لَيْسَتْ أَكْثَرَ جَمَالًا مِنْ مَوْلَاتِهَا. أَتُرَاكُ  
مُسْتَعِدًّا لِانْتِهَازِ هَذِهِ الْفُرْصَةِ الذَّهَبِيَّةِ النَّادِرَةِ؟!».

وَسُرَّعَانَ مَا انْتَفَضَ «كَاشِفٌ» مُتَفَرِّعًا، وَامْتَقَعَ لِهَوْلِ مَا يَسْمَعُ،  
فَابْتَدَرَنِي قَائِلًا:

«وَاحْسَرَتَاهُ! يَا لَهُ مِنْ خَبَرِ صَاعِقٍ! أَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَوْلَايَ جَادًّا  
فِيمَا يَقُولُ؟ إِنَّ لِقَاءَ الْأَفْعَوَانِ أَهْوَنُ عَلَى نَفْسِي مِنْ لِقَاءِ هَذِهِ الْغُولِ!»

بَلْ إِنِّي لَأَفْضَلُ أَنْ يَكُونَ لِي أَلْفُ نَفْسٍ - يَلْتَهُمَهَا الشُّعْبَانُ مَرَّةً بَعْدَ  
أُخْرَى - عَلَى أَنْ أُبْتَلَى بِهَذِهِ الْمُصِيبَةِ!». .

فَقُلْتُ لَهُ مُدَاعِبًا سَاخِرًا:

« مَا أَعْجَبَ أَمْرَكَ! وَمَا أَسْرَعَ مَا نَسِيتَ نَصِيحَتَكَ وَتَنَكَّرْتَ لِرَأْيِكَ!  
أَلَمْ تَقُلْ لِي: إِنَّ الْحَيَاةَ جَمِيلَةٌ عَلَى أَىِّ حَالٍ، وَإِنَّ بَعْضَ الشَّرِّ أَهْوَنُ  
مِنْ بَعْضٍ، وَإِنَّ الْحَازِمَ الْفِطْنِ هُوَ مَنْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَخْتَارُ بَيْنَهُمَا؟  
فَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ لَا يُخِيفُكَ، فَكَيْفَ تُرِيدُنِي عَلَى أَنْ أَخَافَهُ؟ أَنْسِيتَ  
مَا قَالَهُ الْحَكِيمُ الْعَظِيمُ «بُزْرُ جَمَهْرٍ» لِمَلِيكِهِ، حِينَ سَأَلَهُ ذَاتَ يَوْمٍ:  
« مَا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ؟ وَمَا الَّذِي هُوَ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ؟  
أَتَعْرِفُ بِمَاذَا أَجَابَهُ؟». .

فَقَالَ «كَاشِفٌ»:

«أَمَّا الَّذِي هُوَ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ، فَهُوَ الزَّوْجُ بِمِثْلِ هَذِهِ الشَّيْطَانَةِ!  
فَكَيْفَ قَالَ الْحَكِيمُ؟». .

فَقُلْتُ لَهُ:

«كَانَ نِصْفُ جَوَابِهِ قَرِيبًا مِمَّا سَمِعْتَهُ مِنْكَ؛ فَقَدْ قَالَ لِمَلِيكِهِ:  
«أَمَّا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ، فَهُوَ مَا لَا تَطِيبُ الْحَيَاةَ إِلَّا بِهِ.  
وَأَمَّا الَّذِي هُوَ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ، فَهُوَ مَا يُتَمَنَّى الْمَوْتُ مِنْ أَجْلِهِ!». .  
فَقَالَ لِي «كَاشِفٌ»: «مَا أَصْدَقَ مَا قَالَ!». .

## ١٠. الْفِرَارُ مِنَ الْجَزِيرَةِ

وَلَبِثْتُ مَعَ «كَاشِفٍ» نُقِلُّبُ آرَاءَنَا عَلَى كُلِّ وَجْهِ، حَتَّى أَحْكَمْنَا  
خُطَّةً لِلْفِرَارِ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْمَشْتُومَةِ. وَسَنَحَتْ لَنَا الْفُرْصَةَ لِتَحْقِيقِ  
مَا أَرَدْنَا بَعْدَ أَنْ وَثِقَتْ بِنَا الْأَمِيرَةُ وَمُسْتَشَارَتُهَا، وَأَطْلَقَتَنَا مِنَ  
الْأَسْرِ، وَأَذْنَتْنَا لَنَا فِي التَّجْوَالِ، وَارْتِيَادِ أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ كَمَا نَشَاءُ.

وَسَاعَفْنَا الْحِظُّ بَعْدَ سَاعَاتٍ، فَوَجَدْنَا زَوْرَقًا صَغِيرًا مِنْ  
زَوَارِقِ الصَّيَّادِينَ مَرْبُوطًا إِلَى وَتِدٍ بِحَبْلِ مَتِينٍ، فَحَلَلْنَاهُ  
وَأَنْطَلَقْنَا بِهِ فِي عُرْضِ الْبَحْرِ  
مُسْرِعِينَ، وَمَا إِنْ بَعُدْنَا  
عَنِ الشَّاطِئِ حَتَّى فَطَنَ



بَعْضُ الْهَمَجِ إِلَى فِرَارِنَا، فَاذْفَعُوا إِلَى الشَّاطِئِ غَاضِبِينَ، وَرَاحُوا  
يَتَوَعَّدُونَنَا مُزْمَجِرِينَ. وَسَمِعْنَا وَزِيرَ الْهَمَجِ يُبْرِطِمُ وَيَرْطُنُ. فَلَمْ  
نُبَالِ بِوَعِيدِهِ، وَلَمْ نَعْبَأْ بِتَهْدِيدِهِ؛ بَعْدَ أَنْ أَوْغَلْنَا فِي الْبَحْرِ، وَأَصْبَحْنَا  
بِمَنْجَاةٍ مِنْ شَرِّ الْهَمَجِ.

وَعِنْدَمَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ كَانَتِ الْجَزِيرَةُ قَدْ غَابَتْ عَنْ نَاطِرِينَا.



فَشَكَرْنَا اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِنَجَاتِنَا، وَشَعَرْنَا بِسُرُورٍ عَظِيمٍ.  
وَشَغَلْنَا فَرَحُنَا بِالْخَلَاصِ مِنَ الْهَمَجِ عَمَّا يُوَاكِهُنَا مِنْ نَفَادِ الزَّادِ  
وَأَخْطَارِ الْبَحْرِ وَثَوْرَةِ الْأَمْوَاجِ، وَمَا يَتَهَدَّدُ زَوْرَقُنَا مِنَ الْغَرَقِ بَيْنَ  
حِينَ وَحِينَ.

وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَقَدْ كَانَ الْمَوْتُ غَرَقًا أَيْسَرَ عَلَيْنَا، وَأَبْهَجَ  
لِقَلْبِنَا مِنْ إِقَائِنَا بَيْنَ فَكِّي الثُّعْبَانِ، أَوْ مُصَاهَرَتِنَا لِذَلِكَ السُّلْطَانِ.

## الفصل الساتس

### ١. جنة البحر

وانطلق بنا الزورق في عرض البحر على غير هدى، حتى لاحت لنا تباشير الصبح، فحللنا جزيرة كثيرة الأنهار، وارفة الأشجار، دانية الثمار، تكاد غصونها تمس الأرض لوفرة ما تحمل من ناضج الفاكهة.

وكانت تخيل لمن يراها أنها جنة من جنات الأرض. وكان الجوع والعطش قد جهدانا وبرحنا، فأكلنا من لذائذ فاكهتها، وارتوينا من عذب مائها، وحمدنا الله الذي أطعمنا من جوع، وآمننا من خوف.

وجلسنا نعرض ما مر بنا من أحداث وأهوال، فنضحك متفككين بعد أن نجونا من الخطر وضمننا السلامة. وعجبنا كيف خلّت هذه الجنة الناضرة من الناس! فقلت لصاحبي:

«لأمر ما أقفرت هذه الجزيرة، فلم يعمرها أحد من الناس؛ فما أظننا أول من حل بأرضها، وأعجب باعتدال جوها ولذيد فاكهتها».

فَقَالَ :

«الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ. وَلَوْ لَا ذَلِكَ، لَمَا خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا، وَأَقْفَرَتْ مِنْ سَاكِنِيهَا».

وَكَأَنَّمَا أَجْرَى الْقَدْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ عَلَى لِسَانِ صَاحِبِي عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ مِنْهُ بِمَا يَخْبُوهُ لَهُ مِنْ أَحْدَاثٍ. وَقَضَيْنَا نَهَارَنَا وَلَيْلَنَا فِي مَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ. وَجَلَسْنَا نَسْمُرُ فِي ضَوْءِ الْبَدْرِ، ثُمَّ نَمْنَا عَلَى الْحَشَائِشِ الْخُضْرِ الْمُحَلَّلَةِ بِالْأَزْهَارِ ذَاتِ الْأَرِيحِ الْفَوَّاحِ.

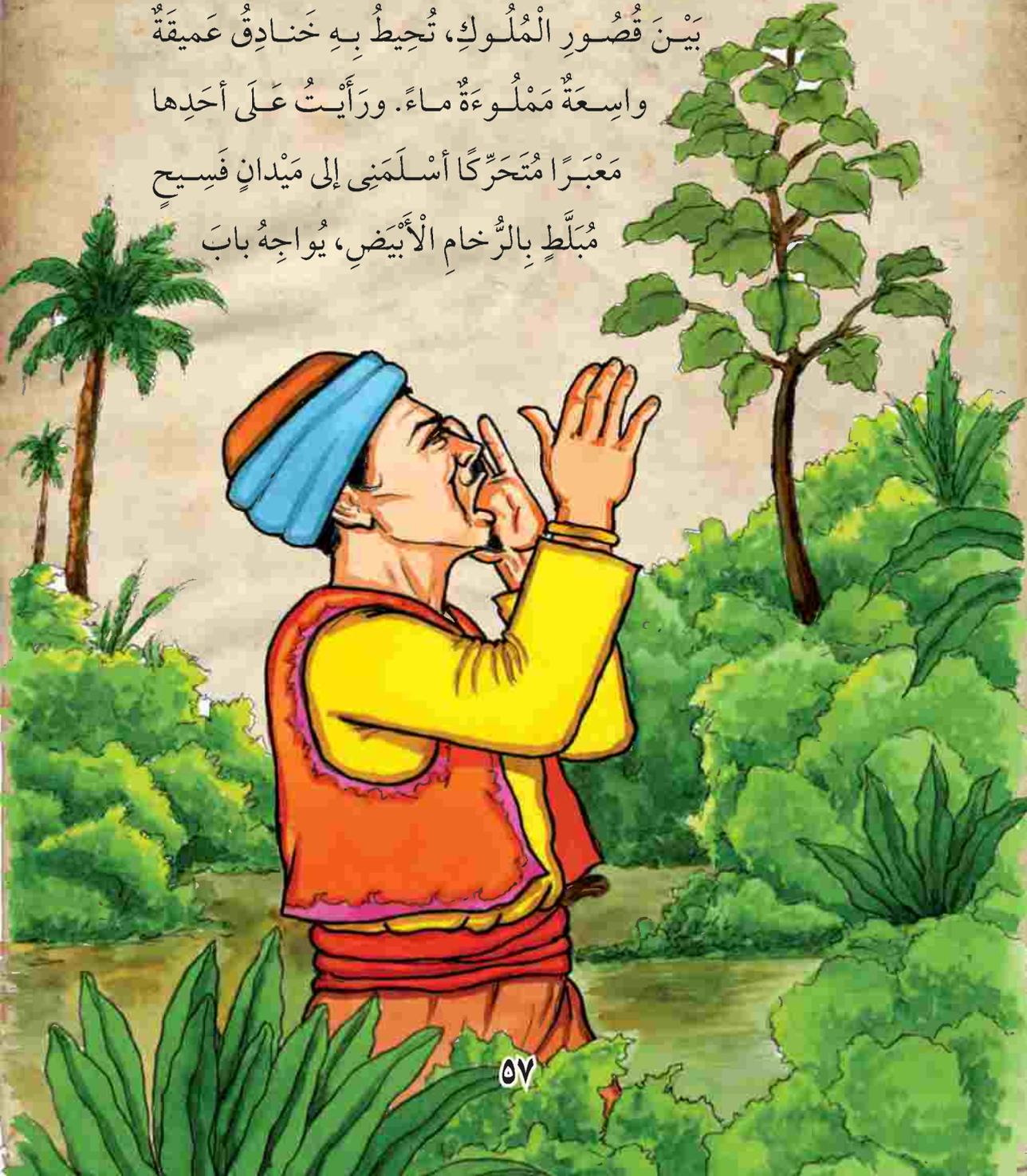
وَعَلَبْنِي التَّعَبُ، فَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا فِي الضُّحَى. وَلَمْ أَجِدْ صَاحِبِي مَعِي، فَنَادَيْتُهُ مَرَّاتٍ، فَلَمْ أَظْفَرْ بِغَيْرِ رَجْعِ الصَّدَى.

وَبَحَثْتُ عَنْهُ أَسْبُوعَيْنِ فِي أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ، فَلَمْ أَعْثُرْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ! فَأَيَقَنْتُ أَنَّ كَارِثَةً حَلَّتْ بِهِ، وَيَسْتُ مِنْ لِقَائِهِ.

وَكَنتُ أَتَمَنَّى لَوْ أَسْتَطِيعُ فِدَاءَهُ مِمَّا لَحِقَ بِهِ مِنَ الْمَكَارِهِ لَوْ كَانَ يُجِدِي الْفِدَاءُ.

وَإِسْفَا عَلَيْهِ! لَقَدْ فَقَدْتُ فِيهِ صَدِيقًا وَفِيًّا وَأَمِينًا مُخْلِصًا، طَالَمَا شَارَكَنِي هُمُومِي وَآلَمِي، وَأَعَانَنِي فِي حَلِّي وَتَرَحَالِي، وَحَمَلَ عَنِّي مَا أَنْوَأُ بِهِ مِنْ أَنْقَالِ الْحَيَاةِ. فَأَيُّ كَارِثَةٍ فَرَّقَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَعْدَ أَنْ نَجَوْنَا مِنْ كُلِّ مَا تَعَرَّضْنَا لَهُ مِنْ فَوَادِحِ الْكَوَارِثِ!؟

وَلَا حَتَّ لِعَيْنِي - فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ عَشَرَ - غَابَةٌ كَثِيفَةٌ، فَيَمَّمْتُهَا،  
وَرُحْتُ أَجْوُسُ خِلَالَ أَشْجَارِهَا، فَاعْتَرَضَنِي قَصْرٌ لَمْ أَرْ لَهُ شَبِيهًا  
بَيْنَ قُصُورِ الْمُلُوكِ، تُحِيطُ بِهِ خَنَادِقُ عَمِيقَةٌ  
وَاسِعَةٌ مَمْلُوءَةٌ مَاءً. وَرَأَيْتُ عَلَى أَحَدِهَا  
مَعْبَرًا مُتَحَرِّكًا أَسْلَمَنِي إِلَى مِيدَانٍ فَسِيحٍ  
مُبَلَّطٍ بِالرُّخَامِ الْأَبْيَضِ، يُوَاجِهُهُ بَابٌ



القَصْرِ. وَفِي وَسَطِهِ فَتَاةٌ بَهِيَّةٌ الطَّلَعَةِ نَائِمَةٌ عَلَى سَرِيرٍ فَاخِرٍ، تَرْتَدِي  
ثَوْبًا حَرِيرِيًّا مُطَرَّرًا بِنَفِيسِ اللَّالِي، وَعَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مِنَ الذَّهَبِ  
مُرْصَعٌ بِالْيَوَاقِيتِ وَالزُّمُرِّدِ وَالْمَاسِ، وَفِي رَقَبَتِهَا عِقْدٌ مِنَ الْيَاقُوتِ  
النَّادِرِ، وَفِي وَسَطِهِ دُرَّةٌ كَبِيرَةٌ لَا تُقَوِّمُ بِمَالٍ، وَلَوْلَا تَانِ يَشَعُّ مِنْهُمَا  
نُورٌ بَاهِرٌ.

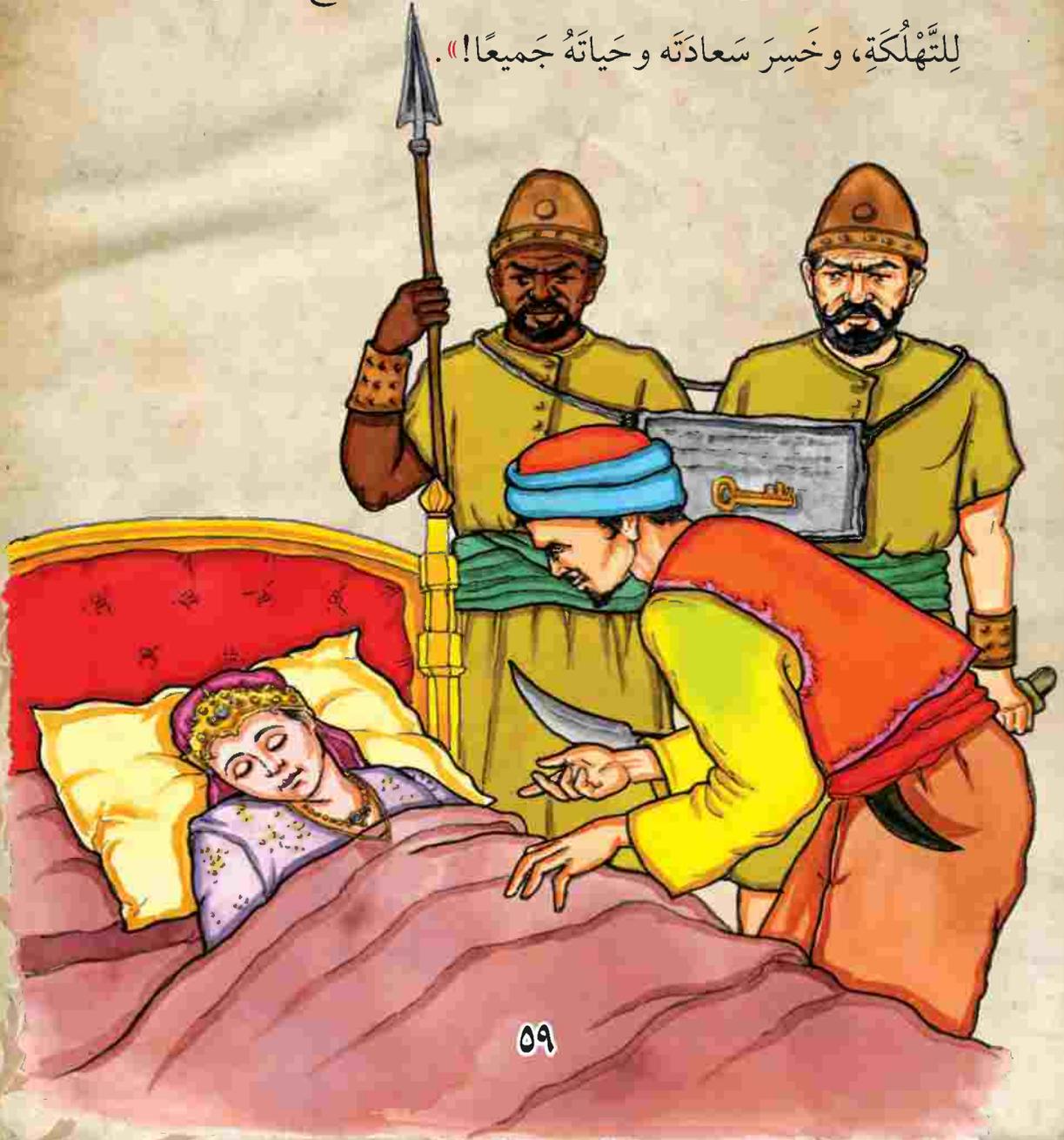
وَقَدْ خِيَلَ إِلَيَّ - حِينَ رَأَيْتُهَا - أَنَّهَا تَتَأَمَّلُنِي وَتُنَعِمُ نَظَرَهَا فِيَّ. وَلَمْ  
يَدُرْ بِخَلْدِي أَنَّهَا تَمَثَّلُ صَامِتٌ لَا حَرَكَ بِهٍ، وَلَا حَيَاةَ فِيهِ. كَيْفَ؟!  
وَجَمَالُهَا مُشْرِقٌ، وَحُسْنُهَا زَاهِرٌ، وَخَدَّاهَا مُورَدَانِ؛ يُؤَكِّدَانِ لِمَنْ  
يَرَاهُمَا أَنَّ دَمَ الْحَيَاةِ يَجْرِي فِي عُرُوقِ الْفَتَاةِ مُتَدَفِّقًا.

وَكَانَ بَرِيقُ عَيْنَيْهَا يُخَيِّلُ لِمَنْ يَرَاهُ كَأَنَّهَا يُحَرِّكُهُمَا الْهُدْبُ،  
فَتَرْمِشُ بِهِمَا، فَلَا يَتِمَالِكُ أَنْ يَبْدَأَهَا بِالتَّحِيَّةِ.

يَا لِلْعَجَبِ! أَهَذَا تَمَثَّلُ فَاقِدُ الْحَيَاةِ؟! تُرَى أَيْ مَثَلٍ أَبْدَعَهُ؟ أَمَّا  
السَّرِيرُ الَّذِي اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ الْفَتَاةُ فَلَهُ دَرَجٌ، وَعَلَى الدَّرَجِ خَادِمَانِ:  
أَبْيَضٌ وَأَسْوَدٌ، وَبِيَدِ أَحَدِهِمَا رُمْحٌ مِنَ الْفُؤُلَادِ، وَبِيَدِ الْآخَرِ سَيْفٌ  
مَاضٍ يَكَادُ سَنَاهُ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ. وَبَيْنَ يَدَيْهِمَا لَوْحٌ مُعَلَّقٌ فِيهِ  
مِفْتَاحٌ ذَهَبِيٌّ.

وَدَنُوتٌ مِنَ اللَّوْحِ، فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ نَقْشًا بَدِيعًا مَكْتُوبًا فِي وَسَطِهِ:

«مَنْ قَدِمَ عَلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، وَيَسَّرَ اللَّهُ لَهُ دُخُولَ هَذِهِ الْغَابَةِ،  
وَكَتَبَ لَهُ الْوُصُولَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ، وَأَرَادَ أَنْ يَطْفِرَ بِالْقَصْرِ السَّعِيدِ،  
فَلْيَأْخُذْ هَذَا الْمِفْتَاحَ دُونَ أَنْ يَمَسَّنِي أَوْ يَمَسَّ - مِنْ حَالِيَّتِي وَلَا لِي -  
شَيْئًا. فَإِذَا وَسَّوَسَ لَهُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُخَالِفَ هَذَا النَّصْحَ، عَرَّضَ نَفْسَهُ  
لِلتَّهْلُكَةِ، وَخَسِرَ سَعَادَتَهُ وَحَيَاتَهُ جَمِيعًا!».»



## ٢. قِنَاعَةُ الْأَمِيرِ

وَكَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّي أَنِّي تَعَوَّدْتُ - مُنْذُ نَشَأَتِي - الطَّاعَةَ،  
وَرُضْتُ نَفْسِي عَلَى الْقِنَاعَةِ. فَاتَّبَعْتُ النُّصْحَ الَّذِي قَرَأْتُهُ، وَصَعِدْتُ  
الدَّرَجَ، وَأَخَذْتُ مِفْتَاحَ الْقَصْرِ مِنَ اللُّوْحِ، دُونَ أَنْ يُسَاوِرَنِي الطَّمَعُ  
فِي أَخْذِ مَا عَدَاهُ.

ثُمَّ تَقَدَّمْتُ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ، وَهُوَ مَصْنُوعٌ مِنْ خَشَبِ السَّرْوِ،  
وَبِهِ نَقْشٌ بَارِزٌ يُمَثِّلُ طَائِفَةً مُخْتَلِفَةً مِنَ الطَّيْرِ، وَعَلَيْهِ قُفْلٌ كَبِيرٌ مِنْ  
الذَّهَبِ عَلَى هَيْئَةِ أَسَدٍ. فَمَا إِنْ وَضَعْتُ الْمِفْتَاحَ فِي الْقُفْلِ حَتَّى انْفَتَحَ  
قَبْلَ أَنْ أُدِيرَ فِيهِ الْمِفْتَاحَ! فَتَعَجَّبْتُ مِمَّا رَأَيْتُ. وَلاَحَتْ مِنِّي التِّفَاتَةُ،  
فَأَبْصَرْتُ سُلَّمًا مِنَ الرَّخَامِ الْأَسْوَدِ، فَصَعِدْتُهُ وَدَخَلْتُ بِهِوَ كَبِيرًا  
مُزِينًا بِالثَّرِيَّاتِ الْبُلُورِيَّةِ وَالطَّنَافِسِ الْحَرِيرِيَّةِ الْمُذَهَّبَةِ، وَبِهِ أَرَائِكُ  
مِنَ الدِّيَاجِ الْمُذَهَّبِ. فَأَسْلَمَنِي إِلَى حُجْرَةٍ أُخْرَى ثَمِينَةَ الْأَثَاثِ.  
وَنَظَرْتُ فَإِذَا سَيِّدَةٌ فِي مُقْتَبِلِ شَبَابِهَا، نَائِمَةٌ عَلَى إِحْدَى الْأَرَائِكِ،  
مُسْنِدَةٌ رَأْسَهَا إِلَى وَسَادَةِ حَرِيرِيَّةٍ، وَقَدْ ارْتَدَّتْ أَنْفَسَ الثِّيَابِ، وَإِلَى  
جَانِبِهَا نَضْدٌ مِنَ الْمَرْمَرِ.

واقْتَرَبْتُ مِنْهَا، فَرَأَيْتُهَا مُغْمَضَةَ الْعَيْنَيْنِ. وَاسْتَمَعْتُ إِلَى أَنْفَاسِهَا  
الْخَافِتَةِ، فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّهَا لَا تَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ. وَعَجِبْتُ لَوْجُودِهَا  
وَخَدَهَا فِي هَذَا الْقَصْرِ الْمُنْفَرِدِ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الْمُقْفَرَةِ! وَخَطَرَ  
لِي أَنْ أَوْقِظَهَا مِنْ نَوْمِهَا، وَلَكِنِّي أَحْجَمْتُ حَتَّى لَا أَنْعُصَ عَلَيْهَا  
صَفْوَةَ رَاحَتِهَا، وَأَكْدَرَ عَلَيْهَا هِنَاءَ رَقْدَتِهَا. فَغَادَرْتُ الْقَصْرَ، مُعْتَزِمًا  
عَوْدَتِي إِلَيْهِ بَعْدَ سَاعَاتٍ.

### ٣. عَجَائِبُ الْجَزِيرَةِ

ثُمَّ اسْتَأْنَفْتُ تَجْوَالِي فِي الْجَزِيرَةِ، فَرَأَيْتُ عَجَائِبَ مِنْ طَيْرِهَا  
وَحَيَوَانِهَا وَحَشْرَاتِهَا لَمْ أَرْ لَهَا مِثْلًا فِي غَيْرِهَا؛ فَقَدْ شَهِدْتُ مِنْ غَرَائِبِهَا  
مَخْلُوقَاتٍ لَا أَدْرِي كَيْفَ أَسْمِيهَا؛ فَهِيَ تَبْدُو فِي هَيْئَةِ النَّمْلِ وَحَجْمِ  
النَّمْرَةِ! وَقَدْ حَسِبْتُهَا - أَوَّلَ مَا رَأَيْتُهَا - مُفْتَرِسَةً، فَتَاهَبْتُ لِصِرَاعِهَا،  
وَلَكِنِّهَا أَسْرَعَتْ بِالْفِرَارِ حِينَ رَأَيْتُنِي. وَلَقِيتُ أَنْوَاعًا أُخْرَى مِنْ  
مُخْتَلِفِ الْحَيَوَانِ، تَبَعْتُ هَيْئَتَهَا عَلَى الرَّعْبِ وَالْفَزَعِ. وَلَكِنَّهَا سُرْعَانَ  
مَا نَفَرَتْ مِنِّي، وَحَادَتْ عَن طَرِيقِي دُونَ أَنْ تَمَسَّنِي بِأَدْيٍ. وَعُدْتُ  
إِلَى الْقَصْرِ بَعْدَ سَاعَةٍ، فَرَأَيْتُ الْفَتَاةَ لَا تَزَالُ غَارِقَةً فِي نَوْمِهَا.

## ٤. اِتِّبَاهُ الْأَمِيرَةِ

وَأَشَدَّتْ رَغْبَتِي فِي مُحَادَثَتِهَا؛ لِأَتَعَرَّفَ طَرَفًا مِنْ قِصَّتِهَا؛ فَأَثَرْتُ  
شَيْئًا مِنَ الضَّجِيجِ، وَسَعَلْتُ مَرَّاتٍ، فَلَمْ تَسْتَيْقِظْ، فَدَنَوْتُ مِنْهَا  
وَحَرَّكْتُهَا بِيَدِي، فَلَمْ تَشْعُرْ وَلَمْ تَتَحَرَّكْ! فَاشْتَدَّ عَجْبِي، وَسَاوَرَنِي  
الشَّكُّ فِي أَمْرِهَا، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي:

«لَعَلَّهَا مَسْحُورَةٌ. فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيقَازِهَا مِنْ سُبَاتِهَا؟».

وَأَنْتَابَنِي الْيَأْسُ مِنْ تَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ، فَهَمَمْتُ بِالْعُودَةِ. وَحَانَتْ  
مِنِّي التَّفَاتَةُ، فَرَأَيْتُ - عَلَى الْمَائِدَةِ الْمَرْمَرِيَّةِ - الْكَلِمَاتِ التَّالِيَةَ:

«مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا الْأَمِينُ. لَقَدْ بَرَّأَكَ اللَّهُ مِنَ الطَّمَعِ، فَظَفَرْتَ بِالْقَصْرِ  
السَّعِيدِ. فَاهْمِسْ فِي أُذُنِ الْفَتَاةِ بِاسْمِكَ وَاسْمِ أَبِيكَ وَجَدِّكَ، تَسْتَيْقِظُ  
عَلَى الْفُورِ مِنْ نَوْمِهَا الْعَمِيقِ».

فَأَذَعَنْتُ لِمَا أَمِرْتُ.

وَمَا إِنْ نَطَقْتُ بِاسْمِي وَاسْمِ أَبِي وَجَدِّي حَتَّى تَنَفَّسَتِ الْفَتَاةُ  
الصُّعْدَاءَ، ثُمَّ فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا وَأَنْتَبَهَتْ! وَلَمْ تَكُنْ دَهَشَتْهَا لِرُؤْيَايَ  
بِأَقْلٍ مِنْ دَهَشَتِي لِرُؤْيَيْهَا، فَابْتَدَرْتَنِي قَائِلَةً:

«يَا لَكَ مِنْ مِقْدَامِ شُجَاعِ الْقَلْبِ، كَرِيمِ النَّفْسِ. وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمَا  
تَخَطَّيْتَ الْعَوَائِقَ وَالْمُغْرِيَاتِ الَّتِي أَهْلَكْتَ غَيْرَكَ مِمَّنْ حَاوَلُوا  
دُخُولَ الْقَصْرِ، وَهِيَ - بِلَا رَيْبٍ - فَوْقَ مَقْدُورِ الْإِنْسَانِيَّةِ! تُرَى مَنْ  
تَكُونُ؟ أَجِنِّي أَنْتَ أَمْ مَلِكٌ؟».

فَقُلْتُ لَهَا:

«كَلَّا - يَا سَيِّدَتِي - مَا أَنَا بِجِنِّي وَلَا مَلِكٍ، بَلْ أَنَا إِنْسَانٌ عَادِيٌّ،  
قَدِمَ عَلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ مُصَادَفَةً، وَسَاقَتْهُ قَدَمَاهُ - عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ - إِلَى  
هَذَا الْقَصْرِ الَّذِي تَسْكُنِينَ، وَأَظْفَرَهُ الْحِظُّ السَّعِيدُ بِمِفْتَاحِهِ فِي غَيْرِ  
مَشَقَّةٍ وَلَا عَنَاءٍ».

فَقَالَتِ الْفَتَاةُ:

«لَنْ يَتِمَّ هَذَا إِلَّا لِأَمِيرٍ فَاضِلٍّ كَرِيمٍ لَا يُخَامِرُ نَفْسَهُ الطَّمَعُ، وَلَا  
تَفْتِنُهُ الْمُغْرِيَاتُ. فَمَنْ تَكُونُ؟».

فَرَوَيْتُ لَهَا مَا لَقَيْتُ فِي رِحْلَتِي مِنْ غَرَائِبِ الْأَحْدَاثِ، وَكَاشَفْتُهَا  
بِمَا شَعَرْتُ بِهِ مِنْ حُزْنٍ عَمِيقٍ لِفَقْدَانِ صَدِيقِي «كَاشِفٍ» بَعْدَ أَنْ  
نَجَا كِلَانَا مِمَّا تَعَرَّضَ لَهُ مِنْ مُهْلِكَاتٍ.

## ٥. حَدِيثُ الْبَغَاءِ

وَهُنَا سَمِعْتُ صَوْتًا يَهْتَفُ قَائِلًا:

«لَا تَأْسَفْ عَلَى صَاحِبِكَ وَلَا تَحْزَنْ، فَقَدْ أَهْلَكَهُ الطَّمَعُ، وَلَوْ خَلَصْتَ نَفْسَهُ مِنَ الْجَشَعِ، كَمَا خَلَصْتَ مِنَ الْخَوْفِ؛ لَكَانَ جَدِيرًا مِثْلَكَ بِدُخُولِ هَذَا الْقَصْرِ السَّعِيدِ».

وَنَظَرْتُ فَرَأَيْتُ بَغَاءَ فَصِيحَةَ اللِّسَانِ تَنْطِقُ بِهَذَا الْكَلَامِ، فَسَأَلْتُهَا مُتَعَجِّبًا:

«خَبِّرْنِي - يَا اللَّهُ - كَيْفَ أَهْلَكَ الطَّمَعُ صَدِيقِي «كَاشِفًا»؟».

فَقَالَتِ الْبَغَاءُ:

«كُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ الطَّمَعَ وَمُخَالَفَةَ النُّصْحِ هُمَا اللَّذَانِ انْتَهَيَا بِصَاحِبِكَ إِلَى الْهَلَاكِ؛ فَقَدْ رَأَى تِمْتَالَ الْفَتَاةِ كَمَا رَأَيْتَهُ، وَأَغْرَاهُ الطَّمَعُ بِانْتِزَاعِ الْعِقْدِ اللُّؤْلُئِيِّ مِنْ جِيدِ الْفَتَاةِ، وَمَا كَادَ يَلْمُسُهُ حَتَّى ضَرَبَهُ أَحَدُ الْحَارِسِينَ بِسَيْفِهِ، وَطَعَنَهُ الْآخَرَ بِرُمْحِهِ، فَقُتِلَ مِنْ فَوْرِهِ، ثُمَّ جَاءَتْ حَشَرَاتُ الْجَزِيرَةِ وَحَيَوَانُهَا فَأَكَلَتْهُ، وَلَمْ تَبْقَ مِنْهُ شَيْئًا، كَمَا أَكَلَتْ غَيْرَهُ مِنْ رُوَادِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الطَّامِعِينَ. وَلَوْ طَمِعْتَ مِثْلَهُ وَفَعَلْتَ فِعْلَهُ لَلْقَيْتَ مِثْلَ مَصْرَعِهِ؛ فَقَدْ عُنِيَ مُبْدِعُ هَذَا التَّمْتَالِ



بِاخْتِبَارٍ مَنْ يَفِدُ عَلَى هَذَا الْقَصْرِ، فَتَنَّرَ اللَّالِيَّ وَالْأَحْجَارَ الْكَرِيمَةَ  
حَوْلَ التَّمْثَالِ لِيَتَعَرَّفَ الطَّبَاعَ، بَعْدَ أَنْ نَقَشَ عَلَى اللُّوحِ الَّذِي رَأَيْتَهُ إِلَى  
جَانِبِ التَّمْثَالِ تَحْذِيرَهُ لِلطَّامِعِينَ وَإِنْذَارَهُ لِلْمُغَامِرِينَ. فَإِذَا شَغَلَتْ  
النَّفَائِسُ أَحَدَ الرُّوَادِ عَنِ مِفْتَاحِ الْقَصْرِ، كَانَ غَيْرَ جَدِيرٍ بِالسَّعَادَةِ.  
فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى خُلُوصِ نَفْسِكَ مِنَ الطَّمَعِ فِيمَا لَيْسَ لَكَ، وَصَفَاءِ  
قَلْبِكَ مِمَّا تَعَرَّضَ لَهُ صَاحِبُكَ مِنَ الْهَلَاكِ؛ فَقَدْ وَسَّوسَ لَهُ الشَّيْطَانُ،  
فَاسْتَجَابَ لَهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ:

«أَمِنْ أَجْلِ هَذَا التَّحْذِيرِ السَّخِيفِ أَتْرُكُ هَذِهِ النَّفَائِسَ؟ وَلِمَنْ  
أَتْرُكُهَا؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْرِمَنِي إِيَّاهَا؟ وَهَلْ يَقْدِرُ تَمَثُّلُ  
عَاجِزٍ عَنِ الْحَرَكَةِ أَنْ يُعَاقِبَ أَحَدًا؟!»

## ٦. فِي أَجْوَازِ الْفَضَاءِ

فَلَمَّا انْتَهَتْ الْبِغَاءُ مِنْ كَلَامِهَا، تَمَلَّكَنِي الْعَجَبُ مِمَّا سَمِعْتُ،  
وَاشْتَدَّ بِي الْأَسْفُ لِمَصْرَعِ صَاحِبِي «كَاشِفِ» الَّذِي أَوْرَدَهُ الْحِرْصُ  
مُورِدَ الْهَلَاكِ. وَسَأَلْتُ الْفَتَاةَ أَنْ تُحَدِّثَنِي بِقِصَّتِهَا، وَكَيْفَ حَلَّتْ بِهَذَا  
الْقَصْرِ. فَقَالَتِ الْفَتَاةُ:

لِذَلِكَ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ، إِنَّهَا مُفَاجَأَةٌ لَمْ تَكُنْ لِي فِي الْحِسَابِ، وَلَمْ تَخْطُرْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ عَلِيٍّ بِالِ، فَقَدْ...».

وَهُنَا شَعَرْتُ أَنَّ يَدًا رَفِيقَةً تَرَفَعُنِي إِلَى السَّمَاءِ، وَتَحْمِلُنِي مُحَلَّقَةً بِي فِي أَجْوَازِ الْفِضَاءِ!! وَسُرْعَانَ مَا اسْتَخْفَى الْقَصْرُ وَالْفَتَاةُ عَنْ نَاطِرِي، وَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى رَأَيْتُنِي هَابِطًا إِلَى الْأَرْضِ أَمَامَ بَابِ الْمَدِينَةِ، دُونَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لِي: أَيُّ قُوَّةٍ خَفِيَّةٍ نَقَلْتَنِي مِنَ الْقَصْرِ السَّعِيدِ إِلَى أَرْضِ الْوَطَنِ فِي مِثْلِ لَمَحِ الْبَصْرِ؟ وَرَأَيْتُ جَيْشَ ضَيْفِنَا الْعَزِيزِ مُرَابِطًا حَوْلَ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلْتُهُمْ عَمَّا جَاءَ بِهِمْ، فَلَمْ يُخْفُوا عَنِّي شَيْئًا.».

## ٧. مُفَاجَأَةٌ جَدِيدَةٌ

وَأَرَادَ الْأَمِيرُ أَنْ يُوَاصِلَ حَدِيثَهُ، لَوْلَا أَنَّ مُفَاجَأَةً جَدِيدَةً عَقَدَتْ لِسَانَهُ عَنِ الْكَلَامِ.

يَا لِلْعَجَبِ! هَا هِيَ ذِي فَتَاةُ الْقَصْرِ السَّعِيدِ تَبْدُو مَائِلَةً أَمَامَهُ! فَمَا إِنْ يَرَاهَا الْأَمِيرُ «إِقْبَالٌ» حَتَّى يَخْفَ إِلَى لِقَائِهَا فِي لَهْفَةٍ وَشَوْقٍ، وَلَا يَتَمَالِكُ أَنْ تَبْدَّ مِنْهُ صَرَخَةٌ مُتَحِيرَةٌ:

«رَبَّاهُ! مَرَحَبًا بِكَ يَا «وَادِعَةٌ» وَافْرَحَتَاهُ! مِنْ أَيْنَ قَدِمْتَ يَا أُخْتَاهُ؟  
وَكَيْفَ كُتِبَتْ لَكَ النِّجَاةُ؟».

فَقَالَ الْأَمِيرُ «فَاضِلٌ»:

«مَا أَعْجَبَ مَا أَرَى وَأَسْمَعُ! أَلَا مَا أَسْعَدَنِي بِلِقَاءِ الْأَخَوَيْنِ  
وَاجْتِمَاعِ الشَّيْتَيْنِ».

وَأَسْرَعَتْ «رَائِعَةٌ» إِلَى ضَيْفِهَا «وَادِعَةٌ» تُعَانِقُهَا، وَتُرْحَبُ بِهَا،  
وَتُهَنِّئُهَا بِسَلَامَتِهَا وَاجْتِمَاعِ شَمْلِهَا بِأَخِيهَا.

## ٨. قِصَّةُ الْأَمِيرَةِ

وَاشْتَدَّ الشَّوْقُ إِلَى تَعْرِفِ قِصَّتِهَا. فَابْتَدَرَهَا أَخُوهَا قَائِلًا:  
«لَقَدْ انْقَطَعَتْ أَخْبَارُكَ يَا «وَادِعَةٌ» حَتَّى كَادَ يَدُبُّ الْيَأْسُ إِلَيْنَا مِنْ  
عَوْدَتِكَ بَعْدَ أَنْ أَعْيَانَا الْبَحْثُ عَنْكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَا تَسْأَلِي عَمَّا  
انْتَابَ أَبَاكَ الْمَلِكُ «عَاصِمًا» مِنَ الْأَلَمِ، فَقَدْ بَرَّحَ بِهِ الْحُزْنَ، وَالْحَحَّ  
عَلَيْهِ الْأَسَى؛ فَأَسْلَمَاهُ إِلَى الْمَرَضِ».

ثُمَّ زَارَنِي فِي نَوْمِي شَيْخٌ مَهِيْبُ الطَّلَعَةِ، رَائِعُ السَّمْتِ، فَابْتَدَرَنِي  
بِالتَّحِيَّةِ، ثُمَّ أَمَرَنِي أَنْ أُسْرِعَ بِالرَّحِيلِ مَعَ نُخْبَةٍ مِنْ جَيْشِي؛ لِأَنَّ

مُفَاجَأَةً سَعِيدَةً تَنْتَظِرُنِي بَعْدَ أَيَّامٍ. فَلَمَّا قُمْتُ مِنْ نَوْمِي حَسِبْتُ  
مَا رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ، ثُمَّ تَكَرَّرَتِ الرَّؤْيَا فِي الْيَوْمَيْنِ  
التَّالِيَيْنِ. فَلَمَّا قَصَصْتُهَا عَلَى أَبِي أَخْبَرَنِي أَنَّهُ رَأَى مِثْلَ هَذِهِ الرَّؤْيَا  
فِي ثَلَاثِ اللَّيَالِي الْمَاضِيَةِ: أَمْسٍ وَأَوَّلِ أَمْسٍ وَأَوَّلِ مِنْ أَمْسٍ، وَسَمِعَ  
الشَّيْخَ يَأْمُرُهُ أَنْ يُعَدَّ السَّفَائِنَ لِتَرْحِيلِ وَلَدِهِ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ مُسْتَطَاعٍ،  
وَيُبَشِّرُهُ بِمُفَاجَأَةٍ سَعِيدَةٍ تَنْتَظِرُهُمَا فِي نِهَايَةِ هَذِهِ الرَّحْلَةِ.



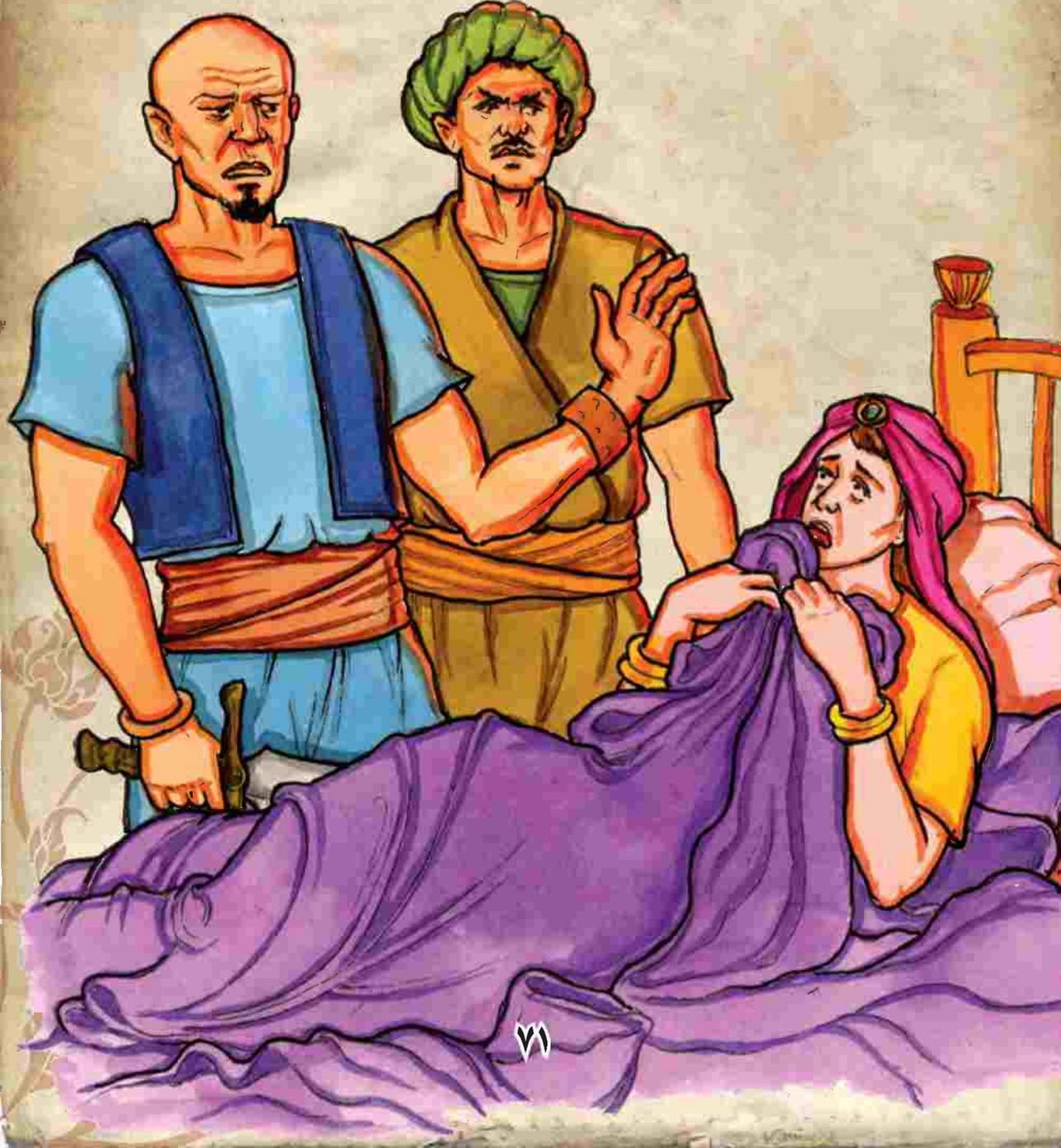
فَاطَمَانَتْ نَفْسِي، وَازْتَاخَ بَالِي لِمَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، وَأَبْحَرْتُ فِي صَبَاحِ  
الْيَوْمِ التَّالِيِ مَعَ نُخْبَةٍ مِنْ أَصْفِيَائِي، وَانْتَهَتْ الرَّحْلَةُ الْعَاصِفَةُ بِهَذِهِ الْخَاتِمَةِ  
السَّعِيدَةِ. فَخَبَّرَنِي - يَا أُخْتَاهُ - مَاذَا حَجَبَكَ عَنَّا طُولَ هَذَا الْوَقْتِ؟  
فَقَالَتْ:

«كُنْتُ نَائِمَةً فِي مَخْدَعِي بِحَدِيقَةِ قَصْرِ الرَّبِيعِ الْمُطَّلَّةِ عَلَى الْبَحْرِ،  
وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ قَمْرَاءَ، فَلَمْ أُسْتَيْقِظْ مِنْ نَوْمِي إِلَّا فِي أَصِيلِ الْيَوْمِ التَّالِيِ.  
وَلَا تَسَلْ عَن دَهْشَتِي حِينَ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْغُرَبَاءِ يُحِيطُونَ بِي،  
وَيَتَلَطَّفُونَ فِي تَسْكِينِ ثَائِرَتِي، وَلَا يَأْلُونَ جَهْدًا فِي جَلْبِ الطَّمَانِينَةِ  
إِلَى نَفْسِي. ثُمَّ يَقُولُ لِي كَبِيرُهُمْ مُتَوَدِّدًا:

«لَا تَخْشَى - أَيُّهَا الْأَمِيرَةُ - وَلَا تَيْسَى، فَلَنْ يَنَالَكَ أَذَى وَلَا سُوءٌ.  
إِنَّ السَّعَادَةَ لَتَنْتَظِرُكَ. فَقَدْ اخْتَارَكَ مَوْلَانَا «مَرْمُوشٌ» مَلِيكَ الْهِنْدِ  
الْأَعْظَمِ، لِتَكُونَ عَرُوسَهُ. فَلَمَّا ضَنَّ عَلَيْهِ أَبُوكَ بِتَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ،  
عَرَضَ الْأَمْرَ عَلَى وَزِيرِهِ «أَنْبُوشٍ»؛ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِاخْتِطَافِكَ. وَلَنْ  
تَلْقَى عِنْدَ مَلِيكِنَا غَيْرَ السَّعَادَةِ وَالْهَنَاءِ».

فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِمْ أَنْ يُعِيدُونِي إِلَى أَبِي، فَلَمْ يُضْعِ إِلَى رَجَائِي أَحَدٌ.  
فَأَعْمَلْتُ الْحِيلَةَ لِلتَّخْلُصِ مِنْهُمْ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُلْهِمَنِي وَجْهَ  
الصَّوَابِ، وَيُنَجِّنِي مِنْ أَسْرِ هَؤُلَاءِ الْغَاصِبِينَ.

وسارت بنا السفينة في البحر يومين، ثم حلت في صباح اليوم  
التالي بشاطئ جزيرة نائية، فاقترح أحدهم أن نستريح فيها قليلاً،  
ثم نستأنف سيرنا في صباح اليوم التالي.



وَقَضَيْنَا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ تَفَرَّقَ فِيهَا أَوْلِيكَ الرَّجَالُ يَجُوبُونَ  
أَنْحَاءَ الْجَزِيرَةِ، وَبَقِيَتْ مُنْفَرِدَةً إِلَى الْمَسَاءِ دُونَ أَنْ يَعُودَ مِنْهُمْ أَحَدًا!  
فَصَعِدْتُ إِلَى شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ، وَنَمْتُ بَيْنَ أَغْصَانِهَا إِلَى الصَّبَاحِ وَأَنَا  
أُفَكِّرُ فِي وَسِيلَةِ لِلْهَرَبِ مِنْهَا.

وَلَبِثْتُ فِي الْجَزِيرَةِ أَيَّامًا أَكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، وَأَنَامُ  
فَوْقَ أَشْجَارِهَا، وَأَجُوسُ فِي أَنْحَائِهَا، حَتَّى سَاقَتْنِي قَدَمَايَ - ذَاتَ  
يَوْمٍ - إِلَى غَابَةِ كَبِيرَةٍ انْتَهَى بِي السَّيْرُ فِيهَا إِلَى الْقَصْرِ السَّعِيدِ».

## ٩- تَرْحِيبُ الْبَبْغَاءِ

وَهُنَا حَدَّثْتَهُمُ الْأَمِيرَةُ عَنْ تِمَثَالِ الْفَتَاةِ حَدِيثًا يَكَادُ لَا يَخْتَلِفُ عَمَّا  
حَدَّثْتَهُمْ بِهِ الْأَمِيرُ «فَاضِلٌ» وَقَصَّتْ عَلَيْهِمْ كَيْفَ أَخَذَتْ مِفْتَاحَ الْقَصْرِ  
السَّعِيدِ دُونَ أَنْ يُغْرِبَهَا الطَّمَعُ بِاِغْتِصَابِ حُلِيِّهَا وَانْتِهَابِ لَائِهَا،  
وَكَيْفَ فَتِحَ لَهَا بَابُ الْقَصْرِ السَّعِيدِ عَلَى مِصْرَاعِيهِ، وَكَيْفَ اسْتَقْبَلَتْهَا  
الْبَبْغَاءُ «صَبِيحَةً»: حَارِسَةُ الْقَصْرِ، فَرَحَانَةٌ بِمَقْدَمِهَا، وَكَيْفَ أَفْضَتْ  
إِلَيْهَا بِمَا لَقِيَهُ خَاطِفُوهَا مِنْ جَزَاءٍ عَادِلٍ. قَالَتِ الْبَبْغَاءُ:

«كَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّكَ أَنْ يُعْرَجَ أَعْوَانُ «مَرْمُوشٍ» عَلَى هَذِهِ  
الْجَزِيرَةِ بَعْدَ أَنْ نَشَرُوا فِي حُجْرَةِ نَوْمِكَ عِطْرًا مُرْقِدًا (مُنَوِّمًا) ثُمَّ  
خَطَفُوكَ مِنْ قَصْرِ الرَّبِيعِ دُونَ أَنْ يَفْطَنَ إِلَى خَدِيعَتِهِمْ أَحَدٌ؛ لِيُقَدِّمُوكَ  
هَدِيَّةً لِلْمَلِكِ «مَرْمُوشٍ».

فَسَأَلْتُ الْبَيْغَاءَ:

«وَمَاذَا كَانَ مَصِيرُ الْخَاطِطِينَ؟».

فَقَالَتْ «صَبِيحَةَ»:

«تَفَرَّقُوا يَتَنَزَّهُونَ فِي أَرْجَاءِ الْجَزِيرَةِ، وَشَغَلَهُمْ طِيبُ جَوْهَا،  
وَجَمَالَ هَوَائِهَا، وَلَدِيدُ ثَمَارِهَا، عَنِ الْعُودَةِ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَسَاقَهُمْ  
سُوءُ حَظِّهِمْ - وَاحِدًا بَعْدَ الْآخِرِ - إِلَى تِمْتَالِ الْفَتَاةِ، فَشَغَلَتْهُمْ حُلِيِّهَا  
وَنَفَائِسُهَا عَنِ مِفْتَاحِ الْقَصْرِ، وَأَنَسَتْهُمْ مَا قَرَأُوا مِنْ نَذِيرٍ وَتَحْذِيرٍ.  
فَقَتَلَهُمُ الْحَارِسَانِ، وَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِمُ الضَّوَارِي (الْوَحُوشُ الْمُفْتَرِسَةُ)  
وَالْحَشْرَاتُ. فَالْتَهَمَتْهُمْ فِي لَحْظَاتٍ. وَهَكَذَا هَلَكُوا مُتَفَرِّقِينَ دُونَ  
أَنْ يَفْطَنَ أَحَدُهُمْ لِمَصْرَعٍ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الطَّامِعِينَ».

وَسَأَلْتُ الْبَيْغَاءَ:

«كَيْفَ يُتَأَخَّرُ لِي الْخُرُوجُ مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ؟».

فَقَالَتْ:

«لِكُلِّ شَيْءٍ أَوْانٌ، وَلِكُلِّ زَرْعٍ إِبَّانٌ (وَقْتُ)، وَسَيِّمٌ خَلَاصُكَ مِنْ كُرْبَتِكَ، وَإِقَاطُكَ مِنْ نَوْمَتِكَ عَلَى يَدِ أَمِيرٍ فَاضِلٍ شُجَاعٍ، سَيِّدٍ مُطَاعٍ، كَرِيمٍ الْأَصْلِ، رَاجِحِ الْعَقْلِ. فَاصْبِرِي يَا فَتَاةً، وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ».

## ١٠ - نَوْمٌ وَيَقْظَةٌ

وَهُنَا شَعَرْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى النَّوْمِ، فَأَلْقَيْتُ بِجِسْمِي الْمَجْهُودِ عَلَى سَرِيرٍ قَرِيبٍ، وَأَسْلَمْتُ جَفْنِي لِلرُّقَادِ، وَمَا زِلْتُ نَائِمَةً حَتَّى أَيَقْظَنِي هَذَا الْأَمِيرُ الْفَاضِلُ مِنْ سُبَاتِي الْعَمِيقِ».

ثُمَّ قَصَّتِ الْفَتَاةُ مَا دَارَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَمِيرِ «فَاضِلٍ» مِنْ حِوَارٍ، وَكَيْفَ اسْتَخْفَى عَنْ عَيْنَيْهَا، وَغَابَ عَنْ نَاطِرَيْهَا، ثُمَّ اسْتَوَلَى عَلَيْهَا النَّوْمُ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا انْتَبَهَتْ مِنْ رُقَادِهَا، رَأَتْ الْقَصْرَ السَّعِيدَ قَدْ انْتَقَلَ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ بِجِوَارِ الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ، وَسَمِعَتْ الْبَبْغَاءَ «صَبِيحَةَ» تُنَادِيهَا، وَتَرَجُّوها أَنْ تُسْرِعَ إِلَى لِقَاءِ أَخِيهَا، وَتَدْعُوهُ - مَعَ جُنْدِهِ وَأَصْحَابِهِ - لِرِيزَارَةِ الْقَصْرِ السَّعِيدِ، لِيَتِمَّ عَلَى أَيْدِيهِمْ مَا بَدَأُوهُ مِنْ صَنِيعٍ مَجِيدٍ.

## الفصل السابع

### ١. أسماء الأمراء

كَانَ الْقَصْرُ السَّعِيدُ - كَمَا رَأَاهُ زَائِرُوهُ - آيَةً مِنْ آيَاتِ الْفَنِّ الْعَالِيِ  
وَالذُّوقِ السَّلِيمِ. فَلَا عَجَبَ إِذَا دَهَشَ الْأَمْرَاءُ وَالْجُنْدُ حِينَ ارْتَادُوا  
حَدَائِقَهُ وَأَبْهَاءَهُ، وَشَهِدُوا أَضْوَاءَهُ وَلَا لَأَاءَهُ. وَلَا تَسَلَّ عَنْ ابْتِهَاجِهِمْ  
بِمَا شَهِدُوهُ مِنْ جَمَالِ تَصَاوِيرِهِ، وَبِرَاعَةِ هُنْدَسَتِهِ. وَقَدْ قَضَى الْأَمْرَاءُ  
أُمْسِيَّةً حَافِلَةً بِجَالِبَاتِ الْبَهْجَةِ، وَبَاعِثَاتِ الشُّرُورِ، وَقَدْ حَفَلَتْ  
مَوَائِدُهُمْ بِمَا لَذَّ وَطَابَ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ. فَظَلَّ الْأَمْرَاءُ يَسْمُرُونَ  
جَانِبًا مِنَ اللَّيْلِ.

تَسَأَلْنِي: أَيُّ حَدِيثٍ كَانَ مَوْضُوعَ حِوَارِهِمْ، وَمَدَارَ سَمَرِهِمْ؟  
وَمَا أَحْسَبُكَ إِلَّا عَارِفًا بِجَوَابِ سُؤَالِكَ، فَلَنْ يَغِيبَ عَنْ فِطْنَتِكَ  
أَنَّ حِوَارَهُمْ لَمْ يَعُدَّ الْحَدِيثَ عَمَّا لَاقَوْهُ فِي سَفَرِهِمْ مِنْ مُدْهِشَاتِ  
وَعَرَائِبِ، وَمَا تَعَرَّضُوا لَهُ فِي رِحْلَتِهِمْ مِنْ كَوَارِثِ وَمَصَائِبِ، وَكَيْفَ  
اجْتَمَعَ الشَّمْلُ الشَّتِيْتُ بَعْدَ أَنْ طَوَّحَتْ بِهِمُ الْأَقْدَارُ فِي مَطَارِحِ  
الْأَرْضِ؛ فَنَسُوا بِذَلِكَ كُلِّ مَا اعْتَرَضَهُمْ مِنْ مَصَائِبَ وَمِحْنٍ. ثُمَّ

عَرَّجُوا عَلَى مَا أَصَابَ مَدِينَةَ النُّحَاسِ، وَمَا لَحِقَ بِسَاكِنِيهَا مِنْ طَيْرٍ  
وَحَيَوَانٍ وَنَاسٍ. وَرَأَوْا يُقَلَّبُونَ الْأَمْرَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ، فَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى  
سَبَبٍ يُعَوَّلُونَ عَلَيْهِ، أَوْ تَعْلِيلٍ تَرْتَاحُ عُقُولُهُمْ إِلَيْهِ.

## ٢. كَشَفُ السُّتَارِ

وَهُنَا قَالَتِ الْبَيْغَاءُ «صَبِيحَةٌ»:

«عِنْدِي جَوَابٌ مَا تَسْأَلُونَ، فَهَلْ أَنْتُمْ لِمَا أَقُولُ سَامِعُونَ؟».

فَقَالُوا لَهَا فِي شَوْقٍ وَلَهْفَةٍ:

«آذَانُنَا لِحَدِيثِكَ سَامِعَةٌ، وَقُلُوبُنَا لِمَا تَقُولِينَ وَاعِيَةٌ».

فَقَالَتِ الْبَيْغَاءُ:

«لَعَلَّ الْأَمِيرَيْنِ «فَاضِلًا» وَأُخْتَهُ «رَائِعَةً» لَا يَعْرِفَانِ الْكَثِيرَ

عَنِ الْمَلِكِ «فُرْهُودٍ»: جَدَّهُمَا لِأَبِيهِمَا، وَلَا عَنِ ابْنِ عَمِّهِ الْأَمِيرِ

«سَوْدَلٍ»: جَدَّهُمَا لِأُمِّهِمَا. وَقَدْ أَنْ لُهُمَا أَنْ يَعْرِفَا مَا كَانَ لِجَدَّهُمَا

«فُرْهُودٍ» مِنْ شَأْنٍ عَظِيمٍ، وَفَضْلِ عَمِيمٍ؛ فَقَدْ ذَاعَ صَيْتُهُ فِي الْبِلَادِ؛

بِمَا عُرِفَ عَنْهُ مِنْ عَدْلِ وَحَزْمٍ وَرَشَادٍ، وَكَانَ مَوْضِعَ إِجْلَالِ مُلُوكِ

عَصْرِهِ قَاطِبَةً، وَكَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ.

### ٣. رُؤْيَا «فَرْهُودِ»

وَقَد رَأَى فِي نَوْمِهِ قُبَيْلَ وَفَاتِهِ دَابَّةً غَرِيبَةً الشَّكْلِ، لَهَا ذَيْلٌ تُعْبَانٍ  
وَجِسْمٌ سَمَكِيَّةٌ، وَجَنَاحَا نَسْرٍ، وَوَجْهُهُ بَوْمَةٌ. وَشَهِدَهَا تَطِيرُ فِي  
الْفَضَاءِ حَتَّى تَبْلُغَ ذِرْوَةَ الْجَبَلِ، ثُمَّ تَعُودُ مُنْدَفِعَةً إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَحُلُّ  
فِي حَدِيقَةِ قَصْرِهِ، فَتَنْعَبُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَسَمِعَ لِتَنْعَابِهَا الْكَرِيهَ صَوْتًا  
يُصَمُّ الْأَذَانَ. وَرَأَى الْحَدِيقَةَ قَدْ ذَوَتْ أَزْهَارُهَا، وَصُوحَ نَبْتِهَا،  
وَتَهَاوَى طَيْرُهَا، وَدَبَّ الْمَوْتُ فِي أَرْجَائِهَا!!



فانتبه المَلِكُ «فُرْهُودٌ» مِنْ نَوْمِهِ مَذْعُورًا، وَدَعَا ابْنَ عَمِّهِ الْأَمِيرَ  
«سَوْدَلًا»، وَقَصَّ عَلَيْهِ رُؤْيَاهُ، فَقَالَ لَهُ «سَوْدَلُ» :

«لَا مَعْدَى لَنَا عَنِ اسْتِشَارَةِ «صَفْصَافَةَ» الْحَكِيمِ؛ فَعِنْدَهُ تَأْوِيلُ هَذِهِ  
الرُّؤْيَا، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُشِيرَ عَلَيْنَا بِالرَّأْيِ الرَّاجِحِ». .  
وَكَانَ «صَفْصَافَةُ» سَاحِرَ عَصْرِهِ، وَكَانَ الْمَلِكُ «فُرْهُودٌ» يُصْفِيهِ  
الْوَدَّ مُنْذُ طُفُولَتَيْهِمَا إِلَى أَنْ بَلَغَا سِنَّ الشَّيْخُوخَةِ، فَلَمَّا قَصَّ رُؤْيَاهُ  
عَلَيْهِ، أَطْرَقَ «صَفْصَافَةُ» مُتَجَهِّمًا، وَقَالَ لِمَلِيكِهِ:

«يَا لَهُ مِنْ حُلْمٍ خَطِيرٍ، يَحْمِلُ فِي ثَنَائِهِ أَفْدَحَ النَّكَبَاتِ! وَلَا مَعْدَى  
لَنَا عَنِ التَّجْمُلِ وَالصَّبْرِ حَتَّى يَنْفُذَ قِضَاءَ اللَّهِ فِيْنَا، وَتَجْرِي أَحْكَامُهُ  
عَلَى ذَوِينَا. وَلَنْ يَثْبِيْنِي عَائِقٌ عَنِ السَّعْيِ فِي تَهْوِينِ وَقَعِهِ الْأَلِيمِ،  
وَتَخْفِيفِ ضَرَرِهِ الْجَسِيمِ مَا وَسَعِنِي الْجُهْدُ، وَسَاعَفَنِي الْعِلْمُ.  
فَأَمْهَلْنِي شَهْرَيْنِ، لَعَلِّي أَوْفَّقُ فِي مَسْعَايَ».

وَغَابَ «صَفْصَافَةُ» عَنْ مَلِيكِهِ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ فِي  
لَهْجَةِ الْمُطْمَئِنِّ الْوَاتِقِ:

«كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٌ إِذَا حَسُنَتْ نِهَائِيَّتُهُ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ الْكَارِثَةَ الَّتِي  
تَحُلُّ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ لَنْ يَزِيدَ عُمرُهَا عَلَى عَامٍ وَنِصْفِ عَامٍ، ثُمَّ يَعُودُ  
إِلَى أَهْلِهَا الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ بَعْدَ أَنْ يَتَعَرَّضَ ثَلَاثَةٌ مِنْ كِرَامِ الْأُمَرَاءِ

لِلْحِمَامِ (لِلْمَوْتِ). وَقَدْ بَدَلْتُ مَا فِي وَسْعِي لِتَأْمِينِ الْمَدِينَةِ فِي خِلَالِ  
هَذِهِ الْمِحْنَةِ مِنْ كُلِّ طَامِعٍ فِي غَزْوِهَا، أَوْ مُتَطَلِّعٍ لِنَهْبِهَا وَسَلْبِهَا. فَلَا  
يُسَاوِرُكَ الْهَمُّ، وَلَا يُبْرِحُ بِكَ الْغَمُّ. وَفَوَّضَ أَمْرَكَ لِخَالِقِ الْأَرْضِ  
وَالسَّمَاءِ، وَرَازِقِ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ؛ فَهُوَ أَبْرُّ بِنَا وَأَرْحَمُ، وَأَرْفُقُ عَلَيْنَا  
وَأَكْرَمُ».

فَسَأَلَهُ «فُرْهُودٌ»:

«أَقْرَبِيَّةُ هَذِهِ الْمِحْنَةِ، أَمْ بَعِيدَةٌ؟».

فَأَجَابَهُ «صَفْصَافَةٌ»:

«لَنْ تَقَعَ هَذِهِ الْمِحْنَةُ فِي عَهْدِكَ، بَلْ فِي عَهْدِ «أُسَامَةَ» وَلَدِكَ».

## ٤. فَضْلُ «صَفْصَافَةَ»

وَقَدْ صَدَقَ «صَفْصَافَةُ» فِيمَا قَالَ، وَبَرَّ بِمَا وَعَدَ؛ وَكَانَ لِبِرَاعَتِهِ  
أَحْمَدُ الْأَثَرِ فِي تَأْمِينِ الطَّرِيقِ، وَأَكْبَرُ الْجُهْدِ فِي تَهْيِئَةِ الْوَسَائِلِ  
لِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ؛ فَقَدْ كَانَ لَهُ الْفَضْلُ فِي إِقَامَةِ سُورِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ  
الْعَالِي، وَتَزْوِيدِهِ بِمَا نَقَشَهُ مِنْ طَلَاسِمٍ وَأَرْصَادٍ لِصِدِّ الْغُرَاةِ وَالرُّوَادِ،  
وَمَا أَعَدَّهُ مِنْ فَاتِنَاتِ الْجَوَارِي الَّتِي تَلْوُحُ لِكُلِّ مَنْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ

بِاقْتِحَامِ السُّورِ، فَيَنْدَفِعُ نَحْوَهُنَّ، وَتُدَقُّ عُنُقُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِنَّ.  
وَبِهَذَا ضَمِنَ أَلَّا يَفْتَحَ الْمَدِينَةَ إِلَّا مَا جِدَّ كَرِيمٌ، جَدِيرٌ بِتَفْرِيجِ كُرْبَتِهَا،  
وَتَخْلِصِهَا مِنْ مِخْنَتِهَا.

وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى هَذَا الصُّنْعِ الْمَجِيدِ؛ فَأَنْشَأَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ  
النَّائِيَةِ هَذَا الْقَصْرَ السَّعِيدَ، وَأَقَامَنِي وَإِخْوَتِي مِنَ الْجَنِّ فِيهِ؛ لِتَتَوَلَّى  
حِرَاسَتَهُ، فَكَانَ مَوْثَلًا لِلْأَمِيرَيْنِ مَكِينًا، وَحِصْنًا حَصِينًا. وَقَدْ وَضَعَ  
فِيهِ تِمَثَالَ الْفِتَاةِ الْحَسَنَاءِ الَّتِي رَأَاهَا الْأَمِيرَانِ، وَنَشَرَ حَوْلَهَا نَفِيسَ  
اللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ؛ لِتُغْرِيَ الطَّامِعِينَ؛ حَتَّى لَا يَدْخُلَ الْقَصْرَ إِلَّا  
مُخْلِصٌ أَمِينٌ».

وَلَمَّا انْتَهَتْ «صَبِيحَةٌ» مِنْ حَدِيثِهَا، سَأَلَهَا الْأَمْرَاءُ الْأَرْبَعَةَ  
مُتَلَهِّفِينَ:

«وَكَيْفَ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ؟ وَأَيُّ سَاحِرٍ دَبَّرَ هَذِهِ الْفَاجِعَةَ؟».

فَقَالَ الْأَمِيرُ «فَاضِلٌ»:

«لَا رَيْبَ أَنَّ الْمَلِكَ «مَرْمُوشٌ» الْحَقُودُ وَوَزِيرُهُ «أَبُوشٌ»،

فَكِلَاهُمَا عَدُوٌّ لَنَا لَدُودٌ، وَهُمَا بِأَمْثَالِ هَذِهِ الدَّسَائِسِ أَخْبَرٌ، وَبِتَدْيِيرِ

هَذِهِ الْمَكَائِدِ أَبْصَرٌ، وَعَلَى تَنْفِيدِهَا أَقْدَرُ!».

فَقَالَتْ «صَبِيحَةٌ»:

«لَوْ اسْتَطَاعَ «مَرْمُوشٌ» ذَلِكَ لَمَا تَوَانَى وَلَا قَصَرَ، وَلَا تَرَدَّدَ وَلَا تَأَخَّرَ، وَلَكِنَّهُ أَعْجَزُ عَنِ بُلُوغِ هَذِهِ الْغَايَةِ وَأَصْغَرُ، وَأَقْلُّ وَأَحْقَرُ. كَلَّا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ، فَلَيْسَ لَهُ فِي هَذِهِ النَّكْبَةِ شَأْنٌ، وَلَا طَاقَةٌ لَهُ بِتَدْبِيرِهَا وَلَا يَدَانِ؛ بَلْ هِيَ مِحْنَةٌ غَيْرٌ مُتَعَمَّدَةٌ وَلَا مَقْصُودَةٌ. وَلَوْ لَا لُطْفُ اللَّهِ، لَضَاعَ كُلُّ أَمَلٍ فِي انْفِرَاجِ الْأَزْمَةِ، وَكَشَفِ الْغُمَّةِ». فَسَأَلَهَا الْأُمْرَاءُ مَدْهُوشِينَ:

«كَيْفَ تَقُولِينَ؟ وَمَاذَا تَعْنِينَ؟ بِرَبِّكَ إِلَّا مَا أَفْصَحْتَ عَمَّا أَلْغَزْتَ، وَأَوْضَحْتَ لَنَا مَا أَبْهَمْتَ».

## ٥- السَّاحِرُ «عَوْسَجَةُ»

فَقَالَتْ «صَبِيحَةُ»:

«كَانَ «صَفْصَافَةٌ» فِي عَصْرِهِ سَاحِرَ الْهِنْدِ الْأَكْبَرِ، كَمَا أَسْلَفْتُ لَكُمْ الْقَوْلَ. فَلَمَّا مَاتَ ظَهَرَ سَاحِرٌ آخَرٌ لَا يَقِلُّ عَنِ «صَفْصَافَةَ» قُدْرَةً وَمَهَارَةً، وَخَبْرَةً بِالسَّحْرِ وَبَصَارَةً. إِنَّهُ «عَوْسَجَةُ» السَّاحِرُ. وَكَانَ أَبُوهُ وَزِيرَ الْمَلِكِ «صَلْدَمٍ». وَكَانَ هَذَا الْمَلِكُ كَمَا تَعْلَمُونَ خَادِعًا مَآكِرًا، مُسْتَبَدًّا جَائِرًا، لَمْ يَتَوَرَّعْ عَنِ اغْتِيَالِ وَزِيرِهِ النَّاصِحِ الْأَمِينِ

بَعْدَ أَنْ أَخْلَصَ لَهُ النُّصْحَ وَأَصْفَاهُ الْوُدَّ. وَقَدْ شَهِدَ «عَوْسَجَةَ» - وَهُوَ  
فِي مُقْتَبَلِ صِبَاهُ - كَيْفَ صَرَخَ «صَلْدَمٌ» الْغَادِرُ أَبَاهُ. فَهَرَبَ «عَوْسَجَةَ»  
إِلَى بِلَادِ التُّبَّتِ، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ قَاتِلِ أَبِيهِ، وَمَا زَالَ يُوَاصِلُ  
اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ حَتَّى بَرَعَ فِي فُنُونِ السَّحْرِ، وَفَاقَ أَسَاتِذَتَهُ وَمُعَلِّمِيهِ،  
فَأَصْبَحَ بَعْدَ مَوْتِ «صَفْصَافَةَ» سَاحِرَ الْهِنْدِ الْأَوْحَدِ.

## ٦. بُوْقُ «عَوْسَجَةَ»

فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ عَكَفَ عَلَى تَدْبِيرِ وَسِيلَةٍ لِلْإِنْتِقَامِ مِنْ  
قَاتِلِ أَبِيهِ، فَلَبِثَ عِشْرِينَ عَامًا كَامِلَةً عَاكِفًا عَلَى صُنْعِ بُوْقِهِ الذَّهَبِيِّ  
الصَّغِيرِ، حَتَّى إِذَا أَتَمَّهُ أَعَدَّ الْعُدَّةَ لِلسَّفْرِ إِلَى مَدِينَةِ «صَلْدَمٍ»: قَاتِلِ  
أَبِيهِ. وَمَا زَالَ يُوَاصِلُ سَيْرَهُ حَتَّى بَلَغَ مُتَّصِفَ طَرِيقِهِ إِلَيْهِ. وَشَاءَتِ  
الْأَقْدَارُ أَنْ يَسْتَقِرَّ بِهِ الْمَقَامُ عَلَى سَاحِلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، فَيَسْتَمِعَ إِلَى  
جَمَاعَةٍ مِنَ التُّجَّارِ قَدِمُوا مِنْ بِلَادِ عَدُوِّهِ، فَيَتَعَرَّفَ مِنْ حَدِيثِهِمْ  
مَضْرَعَ «صَلْدَمٍ»؛ وَكَيْفَ زَلَّتْ قَدَمُهُ وَهُوَ يُطَارِدُ أَحَدَ الْغِزْلَانِ،  
فَهَوَى مِنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ، وَتَنَاطَرَتْ أَشْلَاءُ جِسْمِهِ، وَاخْتَلَطَ لَحْمُهُ  
بِعَظْمِهِ. وَهُنَا زَالَ غَضَبُ «عَوْسَجَةَ» وَانصَرَفَتْ نَفْسُهُ عَنِ الْإِنْتِقَامِ،

وَخَشِيَ أَنْ يَقَعَ الْبُوقُ الذَّهَبِيُّ الْمَسْحُورُ فِي يَدِ غَيْرِهِ، فَيَسِيءَ بِهِ - عَنْ  
غَيْرِ قَصْدٍ - إِلَى الْأَمِينِ، فَأَلْقَى بِهِ إِلَى الْبَحْرِ، وَكَرَّ إِلَى وَطَنِهِ رَاجِعًا،  
فَمَاتَ فِي طَرِيقِهِ.

## ٧. خَصَائِصُ الْبُوقِ

فَسَأَلَهَا الْأَمْرَأُ:

«فَأَيِّ سِرٍّ أَوْدَعَهُ السَّاحِرُ فِي هَذَا الْبُوقِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِيَنْتَقِمَ بِهِ مِنْ

عَدُوِّهِ؟».



فَقَالَتْ «صَبِيحَةٌ»:

«لَقَدْ أودَعَ فِيهِ مِنْ ضُرُوبِ السَّحْرِ مَا لَا يَتَخَيَّلُهُ الْعَقْلُ؛ فَقَدْ يَسَّرَ  
لِنَافِخِهِ مِنْ فُنُونِ الْإِنْتِقَامِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ، وَأَتَاكَ لَهُ الْقُدْرَةَ عَلَى  
النَّسْخِ وَالْمَسْخِ وَالْفَسْخِ وَالرَّسْخِ».

فَسَأَلَهَا الْأَمْرَاءُ مُتَحَيِّرِينَ:

«أَفْصِحِي بِرَبِّكَ عَمَّا تَقُولِينَ، فَمَا نَحْنُ عَلَى فَهْمِ الْغَازِكِ بِقَادِرِينَ.  
مَاذَا تَعْنِينَ بِالنَّسْخِ وَالْمَسْخِ وَالْفَسْخِ وَالرَّسْخِ؟».

فَقَالَتْ «صَبِيحَةٌ»:

«فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى يَنْتَقِلُ الْأَدْمِيُّ مِنْ صُورَتِهِ إِلَى صُورَةِ أَعْلَى  
وَأَشْرَفَ. وَفِي الثَّانِيَةِ يَنْتَقِلُ إِلَى صُورَةِ إِحْدَى الْبَهَائِمِ. وَفِي الثَّلَاثَةِ  
يَنْتَقِلُ إِلَى صُورَةِ بَعْضِ الْحَشْرَاتِ. وَفِي الرَّابِعَةِ يَتَحَوَّلُ نَبَاتًا أَوْ  
جَمَادًا».

فَصَرَخَ الْأَمْرَاءُ مَدْهُوشِينَ:

«وَكَيْفَ يَتَمُّ ذَلِكَ لِمَنْ يَنْفُخُ فِي الْبُوقِ؟».

فَقَالَتْ «صَبِيحَةٌ»:

«حَسْبُهُ أَنْ يَسْتَحْضِرَ فِي ذَهْنِهِ الصُّورَةَ الَّتِي يُرِيدُ أَنْ يُحَوَّلَ إِلَيْهَا  
مَنْ يَشَاءُ، أَوْ يَذْكَرَ عَلَى لِسَانِهِ اسْمَ حَيَوَانَ أَوْ نَبَاتٍ أَوْ مَعْدِنٍ - خَسِيسًا

كَانَ أَوْ حَقِيرًا - فَلَا تَقْضِي لِحَظَاتٍ قَلِيلَةً بَعْدَ أَنْ يَنْفُخَ فِي الْبُوقِ  
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَتَّى يَبْلُغَ النَّافِخُ مُرَادَهُ، وَيَتِمَّ لَهُ مَا أَرَادَهُ!».  
فَقَالَ «إِقْبَالَ»:

«لَقَدْ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ «عَوْسَجَةَ» قَذَفَ الْبُوقَ فِي الْبَحْرِ، فَمَاذَا حَدَثَ  
بَعْدَ ذَلِكَ؟».

فَقَالَتْ «صَبِيحَةُ»:

«بَلَعَتْهُ سَمَكَةٌ، وَجَاءَ صَيَّادٌ فَاصْطَادَهَا، وَمَرَّ بِالصَّيَّادِ نَسْرًا، فَاثْتَهَرَ  
مِنَ الصَّيَّادِ غَفْلَةً، فَخَطِفَ السَّمَكَةَ، ثُمَّ طَارَ بِهَا إِلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ،  
فَرَأَى ثَلَاثَةً مِنَ النَّاسِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ عَشِيهِ، فَعَادَ بِهَا أَذْرَاجَهُ، وَاسْتَقَرَّ  
عَلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ فِي حَدِيقَةِ الْمَلِكِ، فَأَكَلَ السَّمَكَةَ وَتَرَكَ الْبُوقَ، وَلَمْ  
يَلْبَثِ الْبُوقُ أَنْ سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ. وَجَاءَ وَلَدُ الْبُسْتَانِيِّ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ  
فَرَأَى الْبُوقَ الذَّهَبِيَّ الصَّغِيرَ، فَأَعْجَبَ بِمَنْظَرِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ - عَنْ غَيْرِ  
قَصْدٍ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِذَا كُلُّ مَنْ بِالْمَدِينَةِ تَمَائِيلٌ مِنَ النُّحَاسِ!».  
فَسَأَلَتْهَا «رَائِعَةُ»:

«وَلِمَاذَا تَحَوَّلُوا نُحَاسًا وَلَمْ يَتَحَوَّلُوا شَيْئًا آخَرَ؟».

فَقَالَتْ «صَبِيحَةُ»:

«كَانَ وَلَدُ الْبُسْتَانِيِّ يَحْسَبُ الْبُوقَ الذَّهَبِيَّ بُوقًا مِنَ النُّحَاسِ،  
فَاتَّجَهَ ذَهْنُهُ إِلَى هَذَا الْمَعْدِنِ».

فَقَالَ «فَاضِلٌ»:

«الآنَ ظَهَرَ أَنَّ «مَرْمُوشًا» لَا يَدَّ لَهُ فِي هَذِهِ النُّكْبَةِ.»

فَقَالَتْ «صَبِيحَةُ»:

«بَلْ كَانَ لَهُ يَدٌ فِي تَأْمِينِ الْمَدِينَةِ وَسَلَامَتِهَا!».

فَقَالَتْ «وَادِعَةُ»:

«وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟!».

فَقَالَتْ «صَبِيحَةُ»:

«لَوْلَا قُدُومُ جَيْشِهِ اللَّجْبِ لِعَزُومِ الْمَدِينَةِ لَمَا فَكَّرَ أَحَدٌ فِي إِغْلَاقِ

أَبْوَابِهَا لِرَدِّ عُدْوَانِ مَنْ يُفَكِّرُ فِي عَزُومِهَا وَانْتِهَابِ كُنُوزِهَا.

فَقَدْ حَاوَلَ «مَرْمُوشٌ» أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ فَعَجَزَ عَنْ ذَلِكَ، وَرَجَعَ

خَائِبًا مَدْحُورًا. وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ غَيْرُ الْأَمِيرِ «إِقْبَالِ» عَلَى اقْتِحَامِ

سُورِهَا الْعَالِي، وَفَتَحَ بَابَهَا الْمَنِيْعَ.»

فَقَالَتْ «رَائِعَةُ»:

«رُبَّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٌ.»

وَقَالَ «إِقْبَالٌ»:

«أَلَا سَبِيلَ إِلَى تَخْلِيصِ الْمَدِينَةِ مِنْ مُحْتَتِهَا وَتَفْرِيجِ كُرْبَتِهَا؟».

فَقَالَتْ «صَبِيحَةُ»:

«بلى، وقد اجتمعت الأسباب، وحانت الفرصة لإنجاز هذا  
المهم العظيم!».

فقال «إقبال»:

«وكيف السبيل إلى ذلك؟».

ف قالت «صبيحة»:

«لم يبق على كشف هذه المحنة غير ساعاتٍ ودقائقٍ، ثمَّ ينجلي  
لأعينكم صدق ما سمعتموه من حقائق».

وأراد الأمراء أن يتمادوا في أسئلتهم، لولا أن سنة من النوم  
طافت بأجفانهم، فأسلمتهم إلى الرقاد!

فلما طلع الفجر، استيقظ الأمير «إقبال»، فجال في جنات  
القصر، وقد شغله التفكير في إنقاذ المدينة عن كل ما يحويه  
من نفائس وتحف، فمشى إلى حديقة القصر، فراها قد اتصلت  
بحديقة القصر الملكي، فواصل سيره قليلاً، وحانت منه التفاتة،  
فرأى البوق الذهبي الصغير، فالتقطه وعاد به أذراجه؛ ليحدث  
أصحابه بما رآه.

## ٨. خاتمة القصة

وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ حُجْرَتِهِمْ رَأَى بُوقَ «عَوْسَجَةَ» يَنْجَذِبُ إِلَى شَفْتَيْهِ؛ فَلَمْ يَتِمَّاكَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ، وَهُوَ مَشْغُولُ الْبَالِ بِرَدِّ الْحَيَاةِ إِلَى التَّمَاثِيلِ الْجَامِدَةِ.

فَمَا إِنْ أَتَمَّ نَفْخَهُ مَرَّاتٍ ثَلَاثًا حَتَّى تَحَقَّقَتِ الْأَمَالُ عَلَى يَدَيْهِ، وَدَبَّتِ الْحَرَكََةُ فِي تَمَاثِيلِ النُّحَاسِ، وَعَادَ إِلَى الْحَيَاةِ كُلِّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ حَيَوَانٍ وَطَيْرٍ وَنَاسٍ. وَاسْتَيْقَظَ الْأَمْرَاءُ الثَّلَاثَةُ مِنْ نَوْمِهِمْ مَدْهُوشِينَ. فَقَالَتِ الْأَمِيرَةُ «رَائِعَةٌ» لِلْأَمِيرَيْنِ «إِقْبَالِ» و«وَادِعَةٌ»:

«مَا أَشْبَهَ هَذَا الصَّوْتِ بِمَا سَمِعْتُهُ مُنْذُ عَامٍ وَنِصْفِ عَامٍ.»  
لَقَدْ صَدَقَتْ «رَائِعَةٌ»، وَلَكِنْ شَتَّانَ بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ، شَتَّانَ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ: صَوْتِ الْيَوْمِ وَصَوْتِ الْأَمْسِ. هَذَا يَجْلِبُ السَّعَادَةَ وَذَلِكَ يَجْلِبُ النُّحْسَ، هَذَا يُعِيدُ الْحَيَاةَ، وَذَلِكَ يَدْفَعُ إِلَى الرَّمْسِ (الْقَبْرِ)! وَهَمَّتْ «رَائِعَةٌ» أَنْ تُسْرِعَ إِلَى لِقَاءِ أَبِيهَا، فَرَأَتْهُ مَائِلًا أَمَامَهَا قَبْلَ أَنْ تَنْقُلَ قَدَمًا؛ فَقَدْ أَحْضَرَتْهُ الْجِنِّيَّةُ «صَبِيحَةُ» إِلَى الْقَصْرِ السَّعِيدِ قَبْلَ أَنْ يَنْفُخَ الْأَمِيرُ فِي الْبُوقِ بِلَحْظَاتٍ.

فَلَمَّا عَادَتْ إِلَيْهِ الْحَيَاةَ سَمِعَ ابْنَيْهِ فِي الْحُجْرَةِ التَّالِيَةِ؛ فَانْتَقَلَ  
إِلَيْهِمَا، وَعَقَدَتْ دَهْشَةً الْفَرَحَةِ أَلْسِنَتَهُمْ جَمِيعًا؛ فَبَكَوْا فِتْرَةً مِنْ  
فَرَطِ الشُّرُورِ.

وَكَانَتْ سَاعَةً بَهِيجَةً يَتَضَاءَلُ أُمَامَهَا الْعُمُرُ كُلُّهُ. وَأَقْبَلَ الْأَمِيرَانِ  
يَبْسُطَانِ لِلْمَلِكِ تَفْصِيلَ مَا حَدَثَ. وَمَا إِنْ بَلَّغُوا مِنْ الْقِصَّةِ نَهَايَتَهَا  
حَتَّى رَأَوْا الْمَلِكَ «عَاصِمًا» وَالِدَ الْأَمِيرَيْنِ «وَادِعَةً» وَ«إِقْبَالِ»  
وَاقِفًا أُمَامَهُمَا. وَمَا إِنْ رَأَهُ وَلَدَاهُ، حَتَّى أَسْرَعَا يُرْحَبَانِ بِهِ وَيُعَانِقَانِهِ،  
وَيَسْأَلَانِهِ:

«كَيْفَ اهْتَدَى إِلَى مَكَانِنِهِمَا؟».

فَأَسْرَعَتْ «صَبِيحَةٌ» إِلَى إِجَابَتِهِمَا، وَقَالَتْ لَهُمَا:

«لَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ الْبَهْجَةَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِحُضُورِ الْمَلِكَيْنِ؛ لِيَشْهَدَا زَوَاجَ

الْأَمِيرَيْنِ بِالْأَمِيرَتَيْنِ».

وَهَكَذَا أُقِيمَتِ الْأَفْرَاحُ، وَابْتَهَجَ الشَّعْبُ كُلُّهُ أَيَّمَا ابْتِهَاجٍ.

وَكَانَ يَجْرُ الْمَرْكَبَةَ الْمَلِكِيَّةَ جَوَادَانِ كَبِيرَانِ، لَا نَظِيرَ لَهُمَا فِي

الْخَيْلِ رَوْعَةً وَفَخَامَةً، وَحُسْنًا وَقَسَامَةً، أَحْضَرْتُهُمَا الْبِغَاءُ لِيَتِمَّ

بِهِمَا الْبَهْجَةُ وَالرُّوَاءُ.

وَلَا تَسَلْ عَنْ دَهْشَةِ الْمَلِكَيْنِ وَالْأُمْرَاءِ حِينَ أَخْبَرْتَهُمَا «صَبِيحَةُ»  
أَنَّ الْجَوَادَيْنِ اللَّذَيْنِ أَحْضَرْتَهُمَا لِيَجْرَا مَرْكَبَةَ الزَّفَافِ هُمَا الْمَلِكُ  
«مَرْمُوشٌ» وَوَزِيرُهُ «أَنْبُوشٌ» اللَّذَانِ أُسْرَفَا فِي إِسَاءَتِهِمَا، وَتَمَادِيَا فِي  
اعْتِدَائِهِمَا، وَتَفَنَّنَا فِي أُدْيَةِ جِيرَانِهِمَا، وَلَمْ يَتَوَانِيَا عَنْ إِلْحَاقِ الْأَذَى  
بِالْبَرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ اسْتَعْبَدَا ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْمَمَالِكِ الْهِنْدِيَّةِ.

## مكتبة الكيلاني

**مَجْمُوعَاتُهَا:** تُسَايِرُ التَّلْمِيذَ فِي نَحْوِ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ قِصَّةً ، رَائِعَةً الصُّورَ ، بَدِيعَةَ الإِخْرَاجِ ، مُتَدَرِّجَةً بِهِ مِنْ رِيَاضِ الأَطْفَالِ إِلَى خِتَامِ التَّعْلِيمِ الثَّانَوِيِّ . ثُمَّ تُسَلِّمُهُ إِلَى مَكْتَبَةِ الكِيلَانِيِّ لِلشَّبَابِ .

**مَادَّتُهَا:** نُقُومُ الخُلُقِ ، وَتُرْبِي الذَّهْنَ ، وَتُعَلِّمُ الأَدَبَ .

**فَنُّهَا:** يَشُوقُ القَارِئَ وَيُمْتِعُهُ ، وَيُحِبُّ الكِتَابَ إِلَيْهِ .

**لُغَتُهَا:** تُنَمِّي مَلَكَةَ التَّعْبِيرِ ، وَتَطْبَعُ اللِّسَانَ عَلَى فَصِيحِ البَيَانِ .

ثَوْرَةٌ رَشِيدَةٌ ، أَجْمَعَ عَلَى تَأْيِيدِهَا وَزُرَاءَ المَعَارِفِ وَزُعمَاءِ التَّعْلِيمِ وَقَادَةَ الرَّأْيِ فِي الشَّرْقِ ، وَكِبَارَ المُسْتَشْرِقِينَ وَأَعْلَامَ التَّرْبِيَةِ فِي العَرَبِ .

أَوَّلُ مَكْتَبَةِ عَرَبِيَّةٍ عُنِيَتْ بِتَنْشِئَةِ الطِّفْلِ عَلَى أَحْدَثِ أُسُسِ التَّرْبِيَةِ الصَّحِيحَةِ . تَوَالَتْ طَبَعَاتُهَا العَرَبِيَّةُ ؛ فَتَثَقَّفَ بِهَا الجِيلُ الجَدِيدُ فِي بِلَادِ العُرُوبَةِ ، وَلَمْ يَخُلْ مِنْهَا بَيْتٌ عَرَبِيٌّ .

تُرْجِمَتْ إِلَى أَكْثَرِ اللُّغَاتِ الشَّرْقِيَّةِ وَبَعْضِ اللُّغَاتِ الغَرْبِيَّةِ .

مَدْرَسَةٌ حُرَّةٌ ، إِذَا عَرَفَهَا التَّلْمِيذُ ، سَعَى إِلَيْهَا بِلَا تَرْغِيبٍ وَلَا تَرْهِيْبٍ .

كَانَتْ أَكْبَرَ أُمْنِيَّةِ لِلآبَاءِ ، وَهِيَ اليَوْمَ أَشْهَى غِذَاءٍ ثَقَافِيٍّ لِلأَبْنَاءِ .

